الفصل الرابع

عملية تبنى الأفكار المستحدثة

« إن بذور الاكتشافات العظيمة تملأ الجو حولنا ، ولكنها لا تستقر إلا فى العقول المهيأة لاستقبالها » .

« ولتر كانون عام ١٩٤٥ »

وعملية تبنى الأفكار المستحدثة إنما هى العملية العقلية التى ينقل الفرد عن طريقها من مجرد السماع عنها لأول مرة حتى اعتناقها . وعملية التبنى ينبغى أن نفرق بينها وبين عملية الذيوع التى هى انتقال الفكرة الجديدة من مصدرها الذى اخترعها أو أوجدها إلى الذين يستعملونها فى النهاية أى إلى معتنقيها . وثمة فارق كبير بين عملية الانتشار وعملية التبنى إذ أن الانتشار يقع عادة بين الناس فى حين أن التبنى ماهو إلا أمر يتعلق بالفرد وحده .

وهدف هذا الفصل هو الكشف عن التشابه بين عملية التبنى وعملية التعلم وبين أنماط أخرى من الأفعال المشابهة ، والبحث فى وجود المراحل التى تسير فيها عملية التبنى ، والحديث عن مصادر المعلومات التى يعتمد عليها الأفراد فى كل مرحلة من مراحل التبنى ، وأخيراً تحليل الفترة اللازمة للتبنى .

نظرية التعلم :

والتسلسل الأكاديمى للبحوث الاجتماعية التى أجريت على عملية التبنى يمكن أن نتتبعه على هدى نظريات التعلم التى قال بها علماء النفس . لقد عرف علماء النفس التعلم بالتغير الدائم نسبياً فى رد الفعل الناتج عن مؤثر من المؤثرات العديدة فى البيئة . ولب معظم نظريات التعلم إنما يكمن فى العلاقات الموجودة بين المؤثر ورد الفعل . والمؤثر يتلقاه الفرد ويفسره

وفقاً لرأيه ثم يصدر رداً عليه . والتقوية المستمرة لهذا الرد الناشىء عن مؤثرات تالية ينتج عنها تغيير دائم على وجه من الوجوه فى سلوك الفرد وهذا مانطلق عليه كلمة التعلم .

والعملية التى يتم عن طريقها تبنى الأفكار الجديدة هى فى جوهرها مثل صغير للكيفية التى يتم بها أى نوع من أنواع التعلم . وفى عملية التبنى للأفكار المستحدثة ، تصل الفرد مؤثرات متباينة تدور حول الفكرة الجديدة وهذه المؤثرات تأتى من مصادر الإعلام . وكل منبه يأتى بعد ذلك من منبهات الفكرة الجديدة يتراكم إلى أن يستجيب الفرد لهذه المنبهات ، وفى النهاية يعتنق الفكرة الجديدة أو يرفضها .

والتعلم يحدث طبعاً فى الفصل وليس هذا فحسب بل أيضاً فى كل مواقف الحياة . على هذا نقول إن العملية التى يتعلم بها التلميذ البادىء عمليات الجمع والطرح والضرب هى على وجه العموم مشابهة للعملية التى يتعلم بها الطبيب شيئا جديداً عن دواء جديد ، وهى نفسها الطريقة التى يعتنق رجل التعليم بمقتضاها فكرة تربوية حديثة .

اتخاذ القرارات :

وعملية التبنى فى مجال الأفكار الجديدة إنما هى نوع من أنواع اتخاذ القرارات . وتبنى الفكرة الجديدة يتطلب قراراً يصدره الفرد المتبنى للفكرة ، وهذا الفرد لابد له من أن يشرع فى استخدام الفكرة الجديدة ، وفى معظم الأحايين عليه أن يقرر متى يتوقف عن استخدام الفكرة القديمة وإحلال الجديدة محلها . وعملية التبنى هى فى واقع الأمر أكثر تعقيداً مما تدل عليه هذه الكلمة . ومن المؤكد أن ثمة قرارات متشابكة لابد من اتخاذها فى أثناء عملية التبنى .

واتخاذ القرارات هو العملية التى بواسطتها يتم تقييم المعنى والنتائج

المترتبة على أنواع السلوك التى يتم الاختيار من بينها . لقد أورد «جونسون» و «هافر» عام ١٩٥٣ الخطوات التالية عند اتخاذ القرارات :

١ — ملاحظة المشكلة .

٢ — تحليل المشكلة .

٣ — الاتفاق على أساليب العمل المتاحة .

٤ — اختيار أسلوب من الأساليب .

٥ — قبول النتائج المترتبة على القرار الذى يتخذ .

واتخاذ القرارات بهذه الصورة عملية يمكن أن تقسم إلى سلسلة من المراحل يتخلل كل منها نمط مختلف من أنماط العمل . وبالمثل يمكن القول بأن الطريقة التى يتبنى الفرد بواسطتها فكرة جديدة يعتبرها معظم الباحثين عملية على درجة من التعقيد . وتبنى الفكرة الجديدة إنما هو حزمة تضم حوادث متشابكة تقع بترتيب زمنى معين ، وباختصار يمكن القول بأن هذا التبنى هو عملية كاملة .

ومعظم السلوك الإنسانى الذى وضعه علماء الاجتماع موضع الدراسة يتضمن أنماطاً مختلفة من القرارات ، ومن أمثلة هذا السلوك إقبال الناس على سلعة معينة وإعراضهم عن سلعة أخرى ، وتفضيل وظيفة على وظيفة ، وإدارة المصانع والمزارع ، والهجرة من مكان إلى آخر ، والإدلاء بالأصوات فى أوقات الانتخابات . والأنواع المختلفة لاتخاذ القرارات ، تلك الأنواع التى كانت تتضمن موضوعاً للبحث فى هذه الدراسات ، هى على وجه العموم اختيار منهج واحد للعمل من بين عدة مناهج وطرق بديلة . وفى حالة تبنى الفرد لفكرة جديدة فإنه يختار بديلا جديداً ويضمه إلى ما لديه من أفكار .

والخلاصة ، إن عملية التبنى للأفكار الجديدة ما هى إلا نوع من أنواع اتخاذ القرارات ، إنها نوع خاص من أنواع اتخاذ القرارات وإن

كان لهذا النوع من الصفات ما لا نجد له مثيلا فى أنواع أخرى من المواقف .

تبنى الأفكار الجديدة كعملية منظمة :

من الجائز أن تقسيم عملية تبنى الأفكار الجديدة إلى مراحل ما هو إلا تقسيم صناعى يهدف إلى توضيح الفكرة فى الأذهان . هذا التقسيم من صفاته أن يكون :

١ — منسجماً مع طبيعة الظواهر ،
٢ — متمشياً مع نتائج البحوث السابقة ،
٣ — مفيداً فى مجال التطبيق العملى .

ومن الواجب أن نشير هنا إلى أنه لا يوجد بالضرورة خمس مراحل فقط فى عملية التبنى . بل إنه ، فى الوقت الحالى ، يبدو أن ثمة خمس وظائف رئيسية تدخل فى تكوين عملية التبنى للأفكار الجديدة ، وكل وظيفة من هذه الوظائف الخمس مرتبطة بمرحلة . وعدد المراحل التى تنطوى عليها عملية التبنى للأفكار الجديدة يختار بادىء ذى بدء على أساس سهولة إدراكنا للموضوع الأصلى وهو اعتناق الفكرة الجديدة . على ذلك يمكن القول بأن عدد المراحل قد يزيد أو ينقص فى مجال تبنى الأفكار الجديدة وفقاً لقدرتنا على التخيل، على أنه لا بد هنا من أن نذكر عدداً من التقسيمات الفرعية إذا أريد أن يكون لتحليلنا هذا فائدة أكبر .

لقد أعطانا الباحث « سيل » تفسيراً معقولا للسبب الذى من أجله يمكن النظر إلى عملية التبنى باعتبارها تتكون من عدة مراحل . وكما هو الحال فى العرض السينمائى ، مجرد رفع الحاجب إلى أعلى يتطلب عدة صور على الشريط ولكن عندما يعرض هذا الأخير على الشاشة فإن هذه الصور الكثيرة تبدو لنا مجرد حركة واحدة . على ذلك فنحن نسأل أنفسنا هذا السؤال:

هل هى حركة واحدة أم عدة حركات ؟ والجواب على هذا السؤال قد يكون الإثنان فالأمر يتوقف على وجهة النظر التى نصطنعها . إن رفع حاجب العين إلى أعلى قد ينظر إليه كعمل واحد أو كسلسلة من الأعمال المتصلة .

فكرة المراحل وكيف تكونت :

عند هذه النقطة ، قد يكون من المفيد أن نتتبع فى اختصار فكرة التبنى والمراحل التى تتكون منها . من الجائز أن يكون « راتان » و « جروس » أول من تنبه - وكان ذلك عام ١٩٤٣ - إلى أن تبنى الفكرة الجديدة يتكون من مراحل . لقد ميزا بين « الشعور » بالفكرة الجديدة ، وكانت بذور الذرة الهجين ، وبين « الإقتناع » بفائدتها ، ومحاولة « قبولها ، وأخيراً التبنى الكامل لها » . كذلك أشار « بيدرسن » عام ١٩٥١ إلى أن ثمة سلسلة من الأحداث التى تؤدى فى النهاية إلى تبنى الفرد للفكرة .

ومهما يكن من أمر ، فإن « ويكلننج » هو أول من قال بأن الفرد عند ما يقرر اعتناق فكرة جديدة فإن هذا القرار لا بد أن ينطوى على عملية تتكون من مراحل أو خطوات . لقد قال « ويكلننج » عن اعتناق الفرد للفكرة الجديدة إنها « عملية تتكون من عناصر لها صلة بالتعلم ، والتصميم ، والإقدام وهذه الأمور تحدث خلال فترة زمنية معينة . واتباع المرء لطريقة ما وإتيانه بسلوك خاص كل ذلك لا يتم نتيجة لقرار فردى يتخذه الشخص ، بل لسلسلة من التصرفات والأعمال التى تتم بعد تفكير » . واستمر « ويكلننج » يقول إن ثمة مراحل أربع تسبق عملية التبنى للأفكار الجديدة وهذه المراحل هى :

الشعور بالفكرة ، والحصول على معلومات عن الفكرة ، والاقتناع بالفكرة ثم تجربتها ، وأخيراً اعتناقها .

وهذه المراحل ، مع شيء قليل من التغيير فى مسمياتها ، قد أعلن عنها بشتى طرق الإعلان من قبل هيئة مكونة من عدد من علماء الاجتماع الريفى. وهذه الهيئة ذكرت الكثير عن هذه المراحل فى نشرتها ذات الانتشار الواسع ، واسم هذه النشرة : « كيف يتقبل المزارعون الأفكار الجديدة فى مجالات الزراعة » .

وثمة بحثان عليان خططا أصلا لتقرير ما إذا كانت فكرة المراحل التى تسبق عملية التبنى للأفكار المستحدثة صحيحة من الناحية العلمية الاختبارية. لقد أثبت « بيل » وزملاؤه عام ١٩٥٧ ، وكذلك « كوب » وزملاؤه عام ١٩٥٨ ، أن فكرة المراحل صحيحة كل الصحة . ولسوف نتعرض لهذه البحوث بالتعليق والمناقشة بطريقة أكثر دقة فيما بعد ، وفى هذا الفصل بالذات .

ليس ثمة اتفاق كامل فيما يختص بعدد المراحل التى تتضمنها عملية التبنى للأفكار المستحدثة وإن كان ثمة قبول عام لفكرة المراحل وكذلك لفكرة أن التبنى للفكرة الجديدة قلما يقع نتيجة لقرار « عفوى » . لقد استخدم « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ أربع مراحل كما فعل « ويكلنج » عام ١٩٥٣ . كذلك تحدثت الجمعية الفرعية للدراسات الاجتماعية عام ١٩٥٥ عن مراحل خمس لعملية التبنى وذلك عقب استعراضها لجميع المطبوعات التى كانت موجودة حتى ذلك التاريخ . كذلك استخدم « بيل » سبع مراحل فى الدراسات التى أنجزها . غير أن « امرى » و « أوزر » عام ١٩٥٨ و « ويكلنج » عام ١٩٥٦ استخدموا ثلاث خطوات فحسب فى حين أن « لافرج » و « ستينر » عام ١٩٦١ سارا فى مراحل ست .

ونشأة فكرة المراحل فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة يمكن أن يقتفى أثرها فى البحوث التى أجريت وفقاً لمنهج البحث الخاص بدراسات علم

الإجماع الريفى ويكاد يكون هذا هو مجالها الوحيد . على أن « هولمبرج » عام ١٩٦٠ استخدم سبع مراحل فى حديثه عن عملية التبنى الأفكار المستحدثة وذلك أثناء تدريسه لمنهج الأنثروبولوجيا فى جامعة « كورنيل » إذ قال إن أول مرحلة من المراحل السبع فى عملية « التغير الثقافى للفرد » هى تمكن هذا الفرد من الحصول على الأفكار المستحدثة . أما المراحل الخمس الأساسية عند « هولمبرج » فهى مشابهة لتلك التى تحدث عنها علماء الاجتماع الريفى وهى :

الشعور بالفكرة ، والاهتمام بها ، وتجربتها ، وتقييمها ثم اعتناقها . أما المرحلة الأخيرة عند « هولمبرج » فهى مرحلة امتزاج الفكرة الجديدة بحياة الفرد اليومية ودخولها فى سياق عمله اليومى .

مراحل فى عملية التبنى

فى هذا الكتاب جاء ذكر خمس مراحل هى :

١ — الشعور .
٢ — الاهتمام .
٣ — التقييم .
٤ — المحاولة .
٥ — وأخيراً ، التبنى .

أما نمط السلوك الذى يمارسه الفرد عند كل مرحلة من هذه المراحل فقد تم تحديده ، وكذلك الوظيفة الأساسية التى تؤديها كل مرحلة فى أثناء عملية التبنى للفكرة الجديدة .

١ — مرحلة الشعور بالفكرة :

فى مرحلة الشعور بالفكرة يتعرض الفرد للفكرة ولكنه يحس بحاجته

الشديدة إلى معلومات كافية عنها . إن الفرد يشعر بالفكرة ولكنه لا يجد ما يحفزه على البحث عن معلومات جديدة عنها . والوظيفة الأولية لمرحلة السماع بالفكرة هى فتح الطريق لسلسلة المراحل التى سوف تأتى بعد ذلك مؤدية فى النهاية إلى تبنى الفكرة الجديدة أو رفضها .

ومعظم الباحثين يتخيلون فى قرارة أنفسهم مرحلة الشعور بالفكرة الجديدة كأنها حدث عفوى لا يرمى إلى هدف إذ أن الفرد يسمع عادة بالفكرة الجديدة عن طريق المصادفة المحضة ، وهو لا يستطيع أن يسعى إلى فكرة جديدة لا يعلم بوجودها ولم يسبق له السماع بها . على أن «هاسنجر» ،مع ذلك ، انتقد أخيراً افتراض انعدام الهدف فى مرحلة الشعور بالفكرة الجديدة ويقول إن الشعور بالفكرة يجب أن يوجده الفرد نفسه وأنه ليس بالحدث السلبى . ويشير «هاسنجر» أيضاً إلى أن وجود المعلومات لدى الفرد عن الأفكار الجديدة لا يخلق عنده الشعور بالفكرة أو الإدراك لها حتى ولو كان هذا الفرد معرضاً لتلقى هذه المعلومات من مصادر مختلفة ، ما لم يكن لدى الفرد مشكلة ويأمل أن تحلها الفكرة الجديدة .

ومن الجائز أن يجابه المرء هنا مشكلة من نوع مشكلة البيضة والفرخة ومن منهما وجد أولاً . هل الحاجة تسبق إدراك الشخص للفكرة المستحدثة أو هل الإدراك للفكرة الجديدة يخلق الحاجة إلى تلك الفكرة ؟ على أن الدراسات المتاحة لنا حالياً لم تهيء لهذا السؤال رداً واضحاً ولكن الشواهد القليلة توحى بأن الشق الثانى من السؤال هو الأكثر شيوعاً .

٢ — مرحلة الاهتمام :

وفى مرحلة الاهتمام يصبح المرء راغباً فى التعرف على دقائق الفكرة الجديدة ويسعى إلى تنمية معلوماته بشأنها . وموقف الفرد تجاه الفكرة

المستحدثة فى هذه المرحلة موقف طيب على وجه العموم ، ولكنه لم يستكمل بعد حكمه بشأن فائدتها بالنسبة له وذلك فى ضوء ظروفه وطبيعة موقفه . ووظيفة هذه المرحلة أساساً هى تنمية معلومات الفرد عن الفكرة الجديدة إذ أن الجانب « المعرفى » أو « الإدراكى » للسلوك يتكون فى مرحلة الاهتمام وذلك على حد قول « لافرج » و « ستينر » عام ١٩٦١ . والفرد يصبح أكثر امتزاجاً من الناحية النفسية بالفكرة الجديدة فى مرحلة الاهتمام أكثر منه فى مرحلة إدراك الفكرة . قبل ذلك سمع الفرد عن الفكرة الجديدة أو قرأ عنها ، ولكن فى مرحلة الاهتمام نراه يفتش فى صبر عن المعلومات ذات الصلة بالفكرة . لقد أصبح سلوكه الآن غرضياً بشكل قاطع وكان قبل ذلك عشوائياً . وإن شخصيته والقيم التى يدين بها ، وكذلك المعايير الاجتماعية السائدة فى مجتمعه ، قد توحى إليه بالمكان الذى يبحث فيه عن المعلومات ، وبالكيفية التى يفسر بها هذه المعلومات ذات الصلة بالفكرة المستحدثة .

ومرحلة الاهتمام سبق أن أشار إليها « بيل » وآخرون عام ١٩٥٧ باعتبارها مرحلة « المعلومات » وكذلك اعتبرها « لافرج » و « ستينر » عام ١٩٦١ مرحلة « المعرفة » ، كما اعتبرتها جماعة علم الاجتماع الريفى فى « نورث سنترال » عام ١٩٦١ مرحلة « الاهتمام وجمع المعلومات » .

٣ — مرحلة التقييم :

وفى مرحلة التقييم يطبق المرء الفكرة المستحدثة تطبيقاً عقلياً على موقفه الراهن وكذلك موقفه الذى يتوقعه مستقبلا وبعدها يقرر ما إذا كان عليه أن يجرب تلك الفكرة أم لا . وفى مرحلة التقييم يحدث نوع من « التجريب العقلى » إذ لو أحس المرء بأن مزايا الفكرة الجديدة تفوق سيئاتها فإنه سوف يقرر القيام بتجربتها . على أن التجريب فى حد ذاته يختلف من الناحية الإدراكية عن مجرد العزم على هذا التجريب . ومن الجائز أن

تكون مرحلة التقييم من ناحية التمايز أقل المراحل الخمس الخاصة باعتناق المرء للفكرة الجديدة ومن الناحية الاختبارية الميدانية تعتبر من أصعب المراحل .

والفكرة الجديدة تحمل للمرء فى أعماقها خطراً ذاتياً إذ أنه يكون غير واثق من نتائجها ولهذا لا بد من مدد قوى فى مرحلة التقييم لإقناع الفرد بأن تفكيره يسير فى الطريق الصحيح . وفى هذه المرحلة يسعى الفرد إلى الحصول على المعلومات والنصائح من الآخرين . ووسائل الاتصال الجمعية من شأنها أن تنقل الرسائل ذات الطبيعة العامة وهى لذلك لا تهيء الرد القوى الذى يحتاجه الفرد فى مرحلة التقييم .

لقد أطلق بعض الباحثين على مرحلة التقييم كلمة « التطبيق » ، وذلك وفقاً لما ذكره « بيل » وآخرون عام ١٩٥٧ ، و « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ ، وكلمة «القبول» أطلقها « كوب » وآخرون عام ١٩٥٨ ، وقرار التقييم والتطبيق أطلقتها « جمعية الدراسات الاجتماعية فى نورث سنترال عام ١٩٦١ » .

وكلمة « الإقناع » أطلقها « روجرز » و « يوست » عام ١٩٦٠ ، و « روجرز » و « بيتز » عام ١٩٦٠ . وجميع هذه التعبيرات تتضمن بأن المركب السلوكى، وهو عبارة عن الشعور الطيب أو غير الطيب إزاء الفكرة ، داخل فى تركيب مرحلة التقييم ،

٤ — مرحلة التجريب :

وفى مرحلة التجريب يستخدم المرء الفكرة المستحدثة على نطاق ضيق وذلك لكى يحدد فائدتها بالنسبة له فى نطاق ظروفه الخاصة . والوظيفة الأساسية لمرحلة التجريب إنما هى إظهار الفكرة الجديدة فى إطار ظروف الفرد الخاصة وتحديد إمكانية الإفادة منها لغرض التبنى الكامل لها . والوضع على هذه الصورة يعتبر اختباراً لمعرفة درجة صلاحية الفكرة ، أو مجرد

« مناورة بالذخيرة الحية » وإن كان القرار القاضى باستخدام الفكرة بعد تجربتها قد اتخذ فى مرحلة التقييم . وللمرء أن يبحث عن معلومات معينة بشأن الطريقة التى يستعمل بها الفكرة الجديدة وذلك فى مرحلة التجريب .

ومعظم الناس لا يعتنقون فكرة جديدة قبل أن يجربوها لمعرفة مدى صلاحيتها لهم . لقد وجد « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ أنه مهما أظهر التطبيق العملى فى البيئة فى مجال استخدام الذرة الهجين من فوائد مؤكدة ، فإن معظم المزارعين كانوا يصممون على قيامهم شخصياً بالتجربة قبل أن يتبنوا الفكرة تبنياً كاملا . وحتى أواخر المعتنقين لفكرة الذرة الهجين فى ولاية « أيووا » ، فبالرغم من أنهم كانوا محاطين من كل جانب بجيران يستخدمون هذه البذرة استخداماً ناجحاً ، فإنهم لم يقبلوا إلا أن يزرعوا جزءاً صغيراً من أرضهم فى سنتهم الأولى مستخدمين فى ذلك البذرة الجديدة على سبيل التجربة . كذلك وجد « ستراسمان » عام ١٩٥٩ أن الأفكار الجديدة فى مجال الصناعة فى القرن التاسع عشر كانت فى العادة تطبق على أضيق نطاق ممكن حتى يثبت نفعها .

وفى حين أن رفض الفكرة المستحدثة قد يحدث فى أية مرحلة من المراحل التى تتكون منها عملية التبنى نجد أن هذا الرفض يحدث أحياناً عندما يساء تفسير النتائج التى تظهر فى مرحلة التجريب ، وثمة مثال لذلك وهو يأتى إلينا من خلال المقابلة التى تمت بين أحد الباحثين وبين مزارع من ولاية « أيووا » كان قد استخدم نوعاً من السماد الكيماوى فى جزء من أرضه :

« عجباً . لقد وضعت من السماد ما يكفى لتغطية نصف الحقل الذى أزرعه بالشوفان وكانت نسبة الخلط مائة رطل للفدان الواحد ونتيجة لهذا زاد المحصول بنسبة عشرة بوشلات للفدان وهذه الزيادة لم يحصل عليها

أى فلاح آخر من جيرانى وكنت أتصور أن هذا شىء عظيم . زد على ذلك أن البرسيم كان ينمو فى حقلى نمواً هائلا. ولكن عندما أقبل شهر سبتمبر وأخرجت بقراتى لترعى فى حقلى أصيبت إثنتان منهما بأورام مفاجئة وبعد ذلك توفيتا . إنك لن تستطيع أن تقول لى إن هذا السماد ليس ساماً » .

لقد عزى هذا المزارع نفوق بقرتيه لسبب بعيد عن الواقع وهو ما ظنه الخصائص السامة للسماد الكيماوى ولم يعزه للسبب الحقيقى وهو البرسيم المبتل مما ترتب عليه رفض الفكرة من جانبه . والخلاصة إن المقابلات التى أجريت مع المزارعين من جيران هذا المزارع أوضحت أنهم لا يستخدمون هذا السماد وأن العدد الأكبر منهم كان يشير فى حديثه إلى تجربة هذا المزارع وإلى بقراته التى نفقت .

ومن الجائز أن معظم الأفراد يحكمون على نتائج مرحلة المحاولة بطريقة أدق من طريقة المزارع الذى أشرنا إليه فى المثال السابق . وعلى أى حال ، فإن نتائج المحاولة تكون عادة على درجة كبيرة من الأهمية عند اتخاذ القرارات الخاصة باعتناق الفكرة أو رفضها .

٥ — *مرحلة تبنى الفكرة* :

وفى مرحلة تبنى الفكرة الجديدة يقرر المرء عادة الاستمرار فى الاستخدام الكامل للفكرة . والوظائف الأساسية لمرحلة التبنى هى وضع نتائج المحاولة موضع الاعتبار من قبل المتبنى للفكرة وتقرير الإقدام على الاستخدام المتواصل مستقبلا للفكرة الجديدة . أما ناحية الدوافع والحوافز الداخلة فى تكوين السلوك الفردى فنجدها فى مرحلة التبنى ، كما نجدها فى مرحلة التجريب .

إتباع طريقة تخزين المأكولات

فى مقاطعة من مقاطعات ولاية « جورجيا »

يصور هذا المثال كيف يتبنى أحد الناس فكرة جديدة وهى هنا تخزين المأكولات وحفظها فى علب من الصفيح ، ولقد وضعنا بين أقواس الملاحظات الخاصة بالمراحل التى تقع فى سياق عملية التبنى . هذا المثال يصور أهمية المؤثرات الشخصية التى تصدر عن الزملاء والأصدقاء والجيران وتدفع الأفراد إلى اعتناق الأفكار الجديدة .

حمدة تخزين الطعام فى علب من الصفيح :

فى مقاطعة « جرين » بولاية « جورجيا » ، وكما هو الحال فى كافة المناطق التى تزرع القطن فى ولايات الجنوب ، يتركب غذاء معظم أجزاء الأرض من لحم الضأن والذرة المسلوقة والعسل الأسود .

وفى الأربعينيات الأولى من هذا القرن بدأ أكثر من خمسمائة أسرة من أسر المزارعين القاطنين فى مقاطعة « جرين » ، وكانوا من أصحاب الدخول القليلة ، يختزنون ما حجمه خمسمائة كورات من الطعام للشخص الواحد فى العام .

لقد بدأت حملة تخزين الطعام فى علب من الصفيح عام ١٩٢٩ فى مقاطعة « جرين » من ولاية « جورجيا » (والمقاطعة فى هذا المثال هى التنظيم الاجتماعى) . ومايزيد على خمسمائة أسرة من أسر هذه المقاطعة تسلموا فعلا قروضاً من إدارة الأمن الزراعى وهى إدارة تابعة لوزارة الزراعة الأمريكية ، كما أفادوا من التوجيهات الفنية التى أصدرتها تلك الإدارة فى هذا الشأن . ومعظم هذه الأسر كانت من الأجراء وكانت قبل عام ١٩٢٩ تخزن ما حجمه إثنا عشر كوارتاً للأسرة الواحدة فى العام (لا يدخل فى الثقافة العامة لهؤلاء الناس إلا قدر قليل من الخبرة المتعلقة بتنفيذ الفكرة

الجديدة) . والذى حدث بعد عام ١٩٣٩ أن هذه الأسر أخذت تزيد من المقادير التى تخزنها عاماً بعد عام فبلغ المتوسط عام ١٩٢٩ — ٢٢٥ كوارتاً للأسرة الواحدة ، وفى عام ١٩٤٠ — ٣٥٠ كوارتاً ، وفى عام ١٩٤١ — ٣٨٦ كوارتاً ، وفى عام ١٩٤٢ — ٤٩٩ كوارتاً . أما كيف رفعت هذه الأسر متوسط تخزينها للأطعمة من إثنى عشر كوارتاً إلى ما يقرب من خمسمائة للأسرة الواحدة فى أربع سنوات فإن هذا يمكن معرفته معرفة جيدة من داخل المقاطعة ذاتها .

حالة « لولا ماك كومونز » :

« لولا ماك كومونز » ، وهى أم زنجية لسبعة أطفال ، لم تكن تؤمن بجدوى تخزين الطعام فى أوان من الصفيح (المرء هنا يدرك لفكرة التخزين ولكن تنقصه المعلومات الخاصة بمزايا هذه الفكرة) . كان من عادتها أن تذهب إلى البقال لشراء ما تأكله عند ما تستطيع الذهاب . أما عند ما لا تستطيع ذلك فكانت وأفراد أسرتها يلتمسون أكل أى شىء وفى بعض الأحايين لا يأكلون شيئاً . لم يحدث أن اختزنت « لولا » قدراً من الطعام يزيد على ثمانية أو تسعة كوارتات وكانت تقول : « ليس لدى ما يكفى من الأوانى ثم من أين لى بالمواد الغذائية التى أستطيع أن أختزنها ؟ » (الفرد هنا يحصل على مزيد من المعلومات فى مرحلة الاهتمام) . وعند ما أخبرت بعدد الأوانى التى ينتظر منها أن تستخدمها فى اختزان الطعام قالت : « ما من فائدة ترجى من القول بأنى أستطيع أن أختزن هذا القدر من الطعام . إنى لا أكذب . أنا لا أستطيع » . وكل طرق الإغراء لجأ إليها المسئولون لدفع هذه السيدة إلى تبنى فكرة اختزان الطعام ، فنجد أن مندوبى إدارة الأمن الزراعى (رعاة التغيير الاجتماعى) يلجأون إلى زوج تلك السيدة كما أن ابنتها « مارى » البالغة من العمر اثنتى عشرة سنة طلب منها

هى الأخرى أن تقدم معاونتها فى هذا الموضوع . لقد وعد الجميع بالقيام بكل ما يستطيعون فى هذا الشأن ولكن ما من نتيجة . ثم دعيت السيدة «لولا» مع ابنتها «مارى» لزيارة أسرة قريبة لا يبعد بيتها كثيراً من بيتهما ، وكانت هذه الأسرة مشهورة بقدرتها على تخزين الأطعمة وحفظها فى أوان من الصفيح بطريقة سليمة ، وعند تلك الأسرة أمضت السيدة وابنتها ساعة أو أكثر قليلاً فى حديث عن تخزين الأطعمة (يتعرض الفرد هنا لمؤثرات شخصية صادرة عن أقران يقيمون بالقرب منه وذلك فى مرحلة التقييم) .

وبعد أن مرت بضع سنوات . شرعت «لولا» فى تخزين المأكولات ، وبدأت بكمية حجمها ٧٥ كوارتاً (تجربة على نطاق ضيق) . وفى يوم الأحد التالى ذهبت « لولا » إلى الكنيسة وهناك سمعت النساء يتحدثن عن تخزين الأطعمة وعن الكميات والأنواع التى يقمن بتخزينها فقالت: « كنت أقول بينى وبين نفسى لو استطاعت العجوز « مارى روث » وبقية السيدات الأخريات تخزين كل الكمية التى أردن تخزينها فإنى أنا الأخرى أستطيع ذلك . وعلى هذا أخزيت الشيطان وشرعت أخزن كل ما استطعت أن أضع عليه يدى من الطعام » . ولقد فعلت إذ أنها قامت فعلاً بتخزين ما حجمه ٦٧٥ كوارتاً من الأطعمة فى تلك السنة (لقد وصل الفرد الآن مرحلة الانطلاق فى تنفيذ الفكرة الجديدة ، وهى مرحلة التبنى المتواصل) . وفى العام التالى قامت السيدة « لولا ماك كومونز » بتخزين ما يقرب من ثمانمائة كوارت .

النتائج

أحد النتائج غير المتوقعة فى حملة التخزين هذه هو عنصر التفاخر الذى سرعان ما ارتبط فى أذهان الناس بالأطعمة المحفوظة فى الأوانى . والواقع

أن العديد من الأسر كانت تعرض أوانيها المختلفة الأشكال والأحجام فى غرف الاستقبال وقاعات الزوار أو تضعها على أرفف مثبتة على جدران المطبخ . وبعض الأسر دفعها حماسها إلى استخدام جميع ما لديها من أوان وملأنها بالبطاطا والقرع واللفت وغيرها من الأنواع التى يمكن تخزينها ولا تحتاج إلى الحفظ فى علب من الصفيح (يستخدم الأفراد الفكرة المستحدثة بطريقة مغايرة لما كان متوقعاً ـ وهذا مثل من أمثلة المبالغة فى تبنى الفكرة) . لقد بلغ إعجاب الكثيرين بأطعمتهم المحفوظة فى عامهم الأول إلى درجة أنهم ما كانوا ليقربوها بل كانوا يتركونها على حالها مما دعا المشرفون التابعين لإدارة الأمن الزراعى إلى الاتصال بهذه الأسر وتعليم أفرادها ضرورة استخدام الأطعمة التى حفظوها (بعض نتائج انتشار الفكرة المستحدثة لا نتوقع حدوثها) .

توقف بعض الناس عن استخدام الفكرة المستحدثة

والفكرة المستحدثة قد يرفضها الناس فى أية مرحلة من مراحل عملية التبنى . ورفض الفكرة ما هو إلا قرار بعدم تبنى هذه الفكرة . والمرء قد يقرر فى مرحلة التقييم أن الفكرة المستحدثة لا تناسب موقفه وهو لذلك قد يرفض الفكرة من الناحية العقلية . وفى مقام آخر ، قد يرفض الفكرة المستحدثة فى مرحلة المحاولة والتجريب عندما يكون الفرد بصدد التقرير بأن الفائدة المتوقعة من التبنى للفكرة لا تفوق الجهود والتكاليف التى تبذل فى سبيل تبنيها . والرفض للفكرة قد يحدث لأسباب أقل واقعية من هذا . السبب ولدينا مثل على ذلك القصة السابقة للفلاح الذى نفقت بقراته مما دعاه إلى التأثير على جيرانه من الفلاحين لكى يرفضوا تسميد الشوفان .

ورفض الفكرة يمكن أن يحدث أيضاً عقب تبنيها وهذا السلوك يسمى

« التوقف » . و « التوقف » هو القرار الذى يصدره الفرد للإقلاع عن استخدام الفكرة الجديدة بعد تبنيها .

وثمة دراسات ميدانية عديدة تستهدف البحث فى طبيعة عملية التوقف غير أن الكثير من هذه الدراسات تطلق على هذا السلوك إسماً آخر . والقليل من هذه الدراسات وضعت أسسها أصلا لتحرى طبيعة التوقف ، ومن الأمور التى شاعت بين الذين قاموا بهذه الدراسات الميدانية أن « اكتشاف » طبيعة التوقف كان شيئاً « مفاجئاً » ولم يكن أمره فى الحسبان . لقد اكتشف « تشابين » عام ١٩٢٨ أن ثمة عدداً من المدن الأمريكية قد « تركت » فكرة الحكم عن طريق المجلس التمثيلى وكان ذلك من عام ١٩١٢ إلى عام ١٩٢٣ ، كما اكتشف أيضاً أن ثمة مدناً كثيرة قد تركت من تلقاء نفسها تطبيق بعض النظم الإدارية التى شاع أمرها فى الولايات الأخرى ، وكان ذلك « الترك » فى خلال سنوات معينة فى الوقت الذى كانت فيه ولايات أخرى تتبنى هذه النظم وتطبقها .

ونورد فيما يلى بياناً للدراسات التى تبحث موضوع التوقف فى تبنى الأفكار الجديده :

١ — اتضح عن طريق الدراسة الميدانية فى صفوف فلاحى ولاية « كارولاينا الشمالية » أن أكثر من ٢٠ ٪ من هؤلاء الفلاحين توقفوا عن استعمال بذور الذرة الهجين .

٢ — اكتشف « آدلر » عام ١٩٥٥ أن ثمة توقفات حدثت فى استخدام عدد من الأفكار التربوية المستحدثة يتراوح ما بين ١٦ و ٣٣ فكرة جديدة فى مجالات التربية والتعليم ، وكان هذا الاكتشاف نتيجة لدراسة قام بها فى ١٧٠ مدرسة من المدارس العامة .

٣ — الدراسة التى قام بها فى الهند مكتب التخطيط والتقييم والتى قامت

على أساس التعمق فى فهم مشكلات ٤٣٢٦ أسرة هندية ، وكشفت هذه الدراسة النقاب عن معدلات للتوقف عن تبنى الأفكار الجديدة تتراوح ما بين ٩٧٪ إلى أقل من ١ ٪ .

٤ — اكتشف « أيكهولتز » عام ١٩٦١ أن التوقفات كانت أكثر شيوعاً من أحد عشر نوعاً من أنواع الرفض الأخرى للأفكار الجديدة ، وكان ذلك فى سياق دراسته لأسباب رفض الأفكار الجديدة المتعلقة بالوسائل السمعية البصرية من جانب خمسة وأربعين معلماً من العاملين فى خمس مدارس ابتدائية عامة .

٥ — وجد « سيلفرمان » و « بيلى » عام ١٩٦١ أن عدد التوقفات التى حدثت فى فترة زمنية مقدارها ثلاث سنوات فى محيط مائة وسبعة فلاحين من ولاية « مسيسبى » تبلغ نصف الحالات التى تم فيها التبنى للأفكار الجديدة .

ومن الجائز أن يكون أكمل دراسة وأشملها لموضوع التوقف عن تبنى الأفكار المستحدثة هى تلك التى قام بها « جونسون » و « فان دى بان » عام ١٩٥٩ . لقد نجحا فى استبعاد استبعاداً جزئياً إحدى المشكلات الرئيسية التى تتضمنها الدراسات التى تتصدى لموضوع التوقفات فى مجال تبنى الأفكار الجديدة ألا وهى مشكلة انعدام الدقة فى ردود الأشخاص موضوع الاستفتاء وذلك عند ما قاما بجمع المعلومات من ١٧٦ فلاحاً من فلاحى ولاية « وسكونسن » ، وكان ذلك عام ١٩٥٢ ، ثم أعادا الكرة عام ١٩٥٧ . وفى خلال السنوات الخمس الواقعة بين هذين التاريخين قام المائة والستة والسبعون شخصاً موضوع الاستفتاء باتخاذ ٢٦٦ موقفاً إيجابياً تجاه سبع عشرة فكرة مستحدثة كانت موضوعاً للدراسة ، كما قام هؤلاء بمائتين وخمسة وخمسين توقفاً فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة . ومن الأمور الواجبة التنويه عنها هنا أن هؤلاء الفلاحين كانوا أيضاً بصدد تبنى أفكار

أخرى مستحدثة — خلاف الأفكار السبع عشرة التى درست عام١٩٥٢ ثم عام ١٩٥٧ — وذلك فى الفترة عينها . ومع ذلك ، تبين المعلومات التى حصل عليها الباحثان سابقا الذكر من الدراسة التى قاما بهـــا فى ولاية « وسكونسن » أن عدداً كبيراً من التوقفات فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة يحدث فى فترة زمنية قصيرة نسبياً . لقد وجد أن القليل من تلك التوقفات تسببت عن حلول فكرة مستحدثة على جانب كبير من الأهمية محل فكرة مستحدثة أخرى سبق أن تبناها هؤلاء الفلاحون موضوع الدراسة .

إحدى النتائج ذات الأهمية القصوى التى حصل عليها « جونسون » و « فان دى بان » عام ١٩٥٩ كانت تدل على أن الأشخاص الذين يتأخرون فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة تعرضوا لتوقفات فاق عددها عدد تلك التى تعرض لها أوائل المتبنين لتلك الأفكار . لقد افترض الباحثون السابقون على هذين الباحثين أن المتبنين الأواخر كانوا نسبياً أقل قابلية لاعتناق حديث الأفكار لأنهم لم يتبنوا تلك الأفكار أو أنهم كانوا بطيئين نسبياً فى مجال تبنيها . والشواهد التى أتى بها « جونسون » و « فان دى بان » تدل على أن المتبنين الأواخر قد يتبنون ولكن يحدث بعد ذلك بفترة من الزمان أن يتوقفوا عن هذا التبنى .

والخلاصة أن معدل التردد فى مجال التوقف عن تبنى الأفكار المستحدثة ليس بالمعدل الضئيل . والعديد من الباحثين قد وقفوا على حالات متعددة من حالات التوقف ، وذلك بالرغم من أن عدداً قليلاً من أولئك الباحثين كان يقصد البحث عن مثل هذه الحالات . والمدى الذى تنتشر فيه حالات التوقف يبدو أنه يختلف تبعاً لطبيعة الفكرة ووفقاً للصفات المميزة لطرق تبنى الأفراد لحديث الأفكار . والنتائج التى توصل إليها « أدلر » عام١٩٥٥ و « جونسون » و « فان دى بان » عام ١٩٥٩ ، و « سيلفرمان » و « بيلى » عام ١٩٦١ ، من شأنها أن تدعم النظرية القائلة بأن المتبنين الأواخر

هم فى الواقع أكثر تعرضاً لحالات التوقف عن تبنى حديث الأفكار من المتبنين الأوائل . والمتبنون الأواخر هم فى العادة من أصحاب الدخول الأقل ، وإن ضعف مواردهم قد يحول دون اعتناقهم لحديث الأفكار ، أو أنه قد يسبب التوقفات لأن الأفكار الجديدة لا تناسب إمكانياتهم المادية المحدودة .

ومن الجائز أن يكون ثمة توقفات واقعية وأخرى غير واقعية تماماً كما توجد إرادات للتبنى واقعية وأخرى غير واقعية . والواقعية هنا هى عبارة عن استخدام الوسائل ذات الكفاية العالية للوصول إلى هدف معين . ومثل التوقف غير الواقعى هو عادة التجربة غير المرضية التى يعانيها الفرد عند تبنيه لفكرة مستحدثة عندما لا تفهم تلك الفكرة على وجهها الصحيح . وهذا النمط من التوقف من الجائز أن يحدث بين صفوف المتبنين الأواخر أكثر من حدوثه بالنسبة للمتبنين الأوائل . والمتبنون الأواخر يكونون عادة على درجة قليلة من التعليم كما يكون لديهم من القيم التقليدية عدد أكبر. ومن شأن هذين العاملين أن يعملا على إحداث التوقفات فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة .

لقد سمع مؤلف هذا الكتاب عن أحد الهولنديين الذين كانوا من أواخر الذين تبنوا فكرة إقامة حزم القش على صورة هرم ثلاثى الدعائم حتى تسمح بتخلل الهواء وكان هذا التبنى بناء على توصية أحد الجيران . على أن هذا الشخص كان يقيم الحزم بشكل خاطىء ولهذا السبب جاءت النتائج غير مرضية مما دعاه إلى التوقف عن تبنى الفكرة بعد مرور عام واحد من تنفيذها . وكثيراً ما يحدث أن أحد المتبنين الأواخر قد يتبنى فكرة جديدة ولكنها ليست من بين الأفكار ذات الصلة بالفكرة الأصلية والتى لا بد أن تكون مصاحبة لها حتى يمكن تحقيق نتائج طيبة. ويمثل هذه الحالة

الفلاح الذى تحدث عنه « سلفرمان » و « بيلى » عام ١٩٦١ ، ذلك الفلاح الذى تبنى فكرة الإكثار من زراعة صفوف الذرة فى الخط الواحد ولكنه لم يتبن الفكرتين المصاحبتين لهذه الفكرة وهما التسميد واستخدام البذور الهجين . وإن ما حققه هذا الفلاح من محصول كان بالتأكيد أقل مما لو لم يتبن أياً من الأفكار الثلاث .

وأية فكرة مستحدثة ، بمجرد أن يتبناها شخص من الأشخاص ، فإنها تتعرض لخطر حلول أفكار أخرى تظهر بعدها محلها . والشكل التالى (شكل ٤ - ١) يوضح كيف حل عقار الجامانين تدريجياً محل عقارين كانا شائعين بين أطباء ولاية «إلينوى» . ففى مناخ ثقافى معرض للتغيير السريع يتعرض الإنسان بشكل دائم لفيض متجدد من الأفكار المستحدثة .

ونتيجة حتمية من نتائج هذا الوضع حدوث نسبة عالية من التوقفات الواقعية كما أشرنا قبلاً :

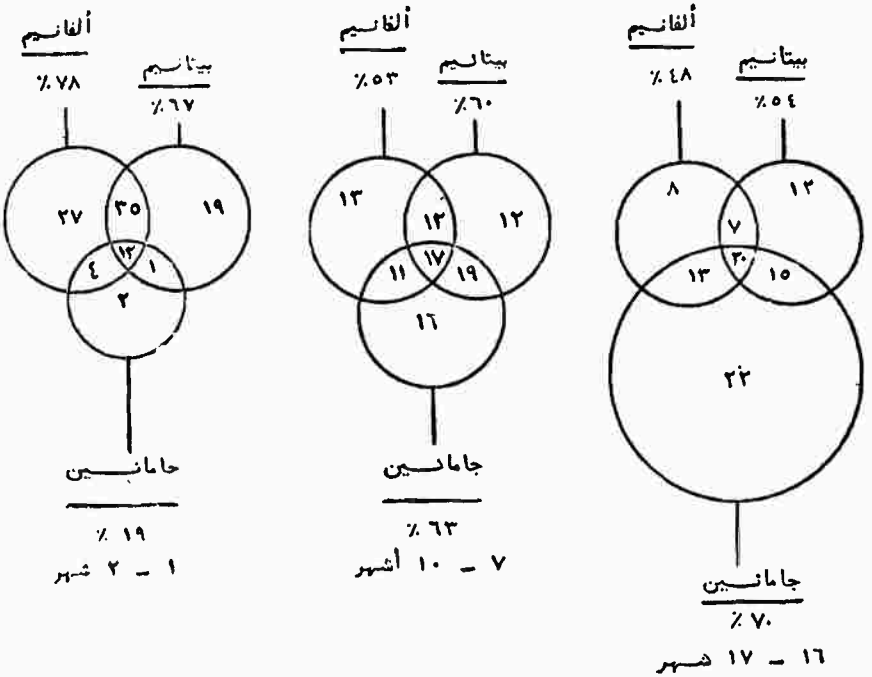

(شكل ٤ — ١)

كيف يحل تدريجياً عقار جديد « الجامانين » محل عقارين موجودين بالفعل

توضح هذه البيانات النسبة المئوية للأطباء فى أربع بلدان واقعة فى ولاية « إلينوى » وهؤلاء الأطباء تبنوا عقاراً جديداً هو « الجامانين » فى فترات تتراوح ما بين شهر وشهرين ، ثم من سبعة أشهر إلى عشرة ، ثم من ستة عشر شهراً إلى سبعة عشر شهراً بعد ظهور هذا العقار فى السوق . والزيادة السريعة فى استخدام هذا العقار ليس معناها أن العقارين الموجودين فعلا فى السوق ، وهما « الألفانيم » و « البيتانيم » ، قد بطل استعمالهما . بل إن ٢٢ ٪ فقط من مجموع الأطباء استعملوا « الجامانين » وحده وكان ذلك بعد مرور من ١٦ إلى ١٧ شهراً بعد ظهور هذا العقار فى السوق فى حين أن ٤٨ ٪ من الأطباء كانوا يستعملون هذا العقار واستعملوا عقاراً آخر معه . والعقار الجديد كان دواء يضاف إلى الأدوية التى كان العديد من الأطباء يستعملونها وليس مجرد بديل .

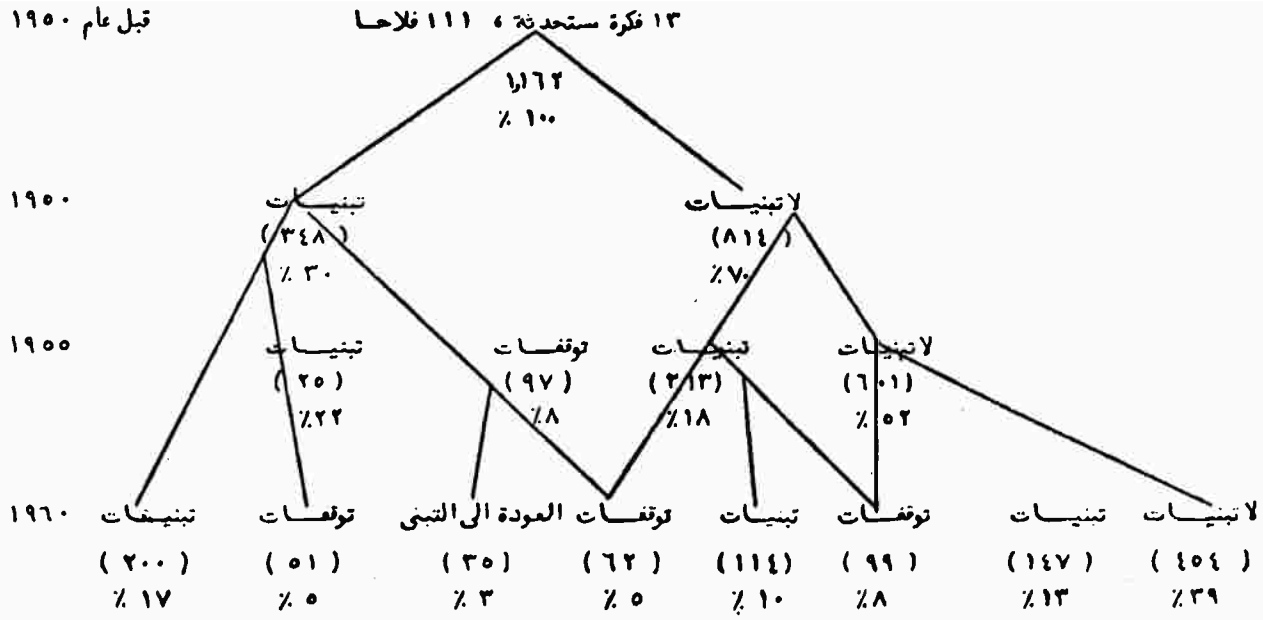

(شكل ٤ — ٢)

شجرة استخدام الأفكار المستحدثة الخاصة بثلاث عشرة فكرة جديدة سبق أن تبناها ١١١ فلاحاً من « كنتكى » وما تخلل ذلك من توقفات

شجرة استخدام الأفكار الحديثة :

وإحدى الطرق الحديثة لتحليل التوقفات التى تحدث فى فترة زمنية معينة هى « شجرة استخدام الأفكار الحديثة » . هذه الشجرة هى وصف تاريخى للنقلات التى تقع بين التبنى والتوقف فى مجال الأفكار المستحدثة فى فترة زمنية معينة .

لقد حصل « كوهينور » عام ١٩٦١ على معلومات مستمدة من عينة مكونة من ١١١ فلاحاً من ولاية « كنتكى » بشأن تبنيهم وعدم تبنيهم لثلاث عشرة فكرة من الأفكار المستحدثة فى عالم الزراعة . ومن نتيجة تجميع ١١٦٢ قراراً من قرارات التبنى والإعراض تكونت الوحدات موضوع التحليل . وشكل (٤ — ٢) يبين شجرة استخدام الأفكار الحديثة وهى الشجرة التى تكونت على هدى المعلومات . من هذه الشجرة يتبين الاتجاه العام للفلاحين نحو الاستمرار فى : إما التزام التبنى وإما التزام الإعراض عن الأفكار المستحدثة فى فترة زمنية طولها خمس سنوات . ومما يبدو للعيان هنا أن السلوك القديم إنما يسهم إسهاماً كبيراً فى تشكيل نوع السلوك المتوقع مستقبلاً .

لقد حدث عدد من التوقفات فى خلال فترة السنوات العشر التى مرت من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٠ . هذه التوقفات تبلغ حوالى ١٨ ٪ من الأحكام الألف والمائة والإثنين والستين التى اتخذت حتى عام ١٩٦٠ ، وهذا بالتأكيد تقدير متواضع لأن المادة العلمية جمعت على مدى خمس سنوات فقط . والشكل (٤ — ٢) يبين ٣٥ حالة تميزت بأن الفلاح فيها انتقل من حالة التبنى إلى حالة التوقف وبالعكس من التوقف إلى « إعادة التبنى » . لقد اقترح « كوهينور » عام ١٩٦١ عدة مفاهيم جديدة فى حالة استخدام أشجار الأفكار الحديثة ومن أمثال هذه المفاهيم :

« توقفات الصف الأول » (التوقفات التى حدثت عام ١٩٥٥) و « توقفات الصف الثانى » (التوقفات التى حدثت عام ١٩٦٠ لأول مرة) .

وشجرة استخدام الأفكار المستحدثة إنما هى طريقة قيمة لإظهار المنظر الكلى للتبنى والإعراض فى فترة زمنية معينة . ومن الممكن طبعاً التنبؤ بالفترة الزمنية التى يتم فى نهايتها التحرر من سحر الفكرة المستحدثة تماماً كما يمكن مقدماً تقدير مدى السرعة الذى يتم بمقتضاه تبنى الفكرة المستحدثة . والدراسات المستقبلة قد تهتم بإثبات ما إذا كانت النسبة المئوية التراكمية لعملية التوقف تأخذ عادة شكل حرف (S) كما هو الحال فى مدى السرعة الذى يتم بمقتضاه التبنى .

هل يتم التبنى على مراحل ؟ :

ومن الناحية النظرية يمكن القول بوجود خمس مراحل أو خطوات فى عملية التبنى .

ما هى الشواهد الدالة على وجود هذه المراحل ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ، ينبغى أن نشير هنا إلى أن الإتيان برد محدد إنما هو أمر من الأمور الصعبة غاية الصعوبة .

والباحثون فى استطاعتهم أن يتغلغلوا فى أعماق العمليات العقلية للأفراد الذين يتبنون فكرة مستحدثة وإن كان هذا التغلغل يتم بطريقة غير مباشرة . على أنه ثمة شواهد تدل على أن فكرة المراحل فى عملية التبنى لها أساس من الصدق . والبحثان الأساسيان اللذان أجريا على هذا الموضوع أسفرا عن نفس النتيجة وأثبتا وجود المراحل فى عملية التبنى . ولدينا الآن أربعة أنماط أساسية للشواهد التى تثبت ذلك :

١ — آراء الأشخاص موضوع الاستفتاء :

فى بحث أجرى بولاية « أيووا » عن تبنى فكرتين مستحدثتين من الأفكار ذات الصلة بالفلاحة ، وجد « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ أن معظم الأشخاص الذين اعتمد عليهم الباحثون يقررون بأنهم مروا فى سلسلة من المراحل فى أثناء انتقالهم من حالة الإدراك للفكرة المستحدثة إلى حالة التبنى الكامل لها . قالوا إنهم تلقوا معلومات من مصادر مختلفة ولم يجدوا صعوبة كبيرة فى تذكر الوقت الذى بدأت فيه لديهم حالة الإدراك للفكرة المستحدثة ، أوالوقت الذى بدأوا يجربونها فيه ، أو حينما شرعوا فعلاً فى تبنيها . لقد اضطر هؤلاء الأشخاص إلى الإجابة عن أسئلة محددة وفى هذه الحالة يمكن القول بأن فكرة المراحل قد « فرضت » عليهم فرضاً . ومع ذلك ، لو أن المراحل لم تكن ذات معنى بالنسبة لهؤلاء الأشخاص فلا بد أنهم قد ذكروا هذا الأمر فى حينه ، أو أنهم رفضوا الإجابة على ما وجه لهم من أسئلة ، أوافترحوا مراحل أخرى أوإجراءات مختلفة . والواقع أن عدد الإجابات التى قالت « لا أعرف » أو « لا أذكر » كانت قليلة للغاية .

٢ — المراحل التى يصرف النظر عنها عند التطبيق :

ومراحل التبنى ينبغى أن تكون بحيث يستطيع معظم الأفراد أن يمروا بكل مرحلة من المراحل الخمس المتعلقة بكل فكرة مستحدثة . لقد وجد « روجرز » و « بيل » عام ١٩٦٠ أن عشرين مرحلة فقط من مجموع ١١٧٠ مرحلة قد صرف النظر عنها عند التطبيق ، وهذه الإحصائية مأخوذة من استفتاء أجرى على فكرتين حديثتين تبنى الفكرة الأولى ١٢٩ فلاحاً والثانية ١٠٤ فلاحين والمجموعتان كانتا موضعاً للاستفتاء . ومرحلة المحاولة والتجريب كانت من المراحل التى كثر تجاهلها وبخاصة من قبل المتبنين

الأواخر . ولكون عدد قليل من الأفراد الذين كانوا موضوعاً للاستفتاء قد اعترفوا بإسقاطهم لبعض المراحل فإن هذا الأمر لاشك يزودنا بالدليل على أن فكرة المراحل صحيحة .

٣ — اختلاف المصادر التى تأتى منها المعلومات :

من الممكن لأى فرد أن يستخدم نفس المصادر ، ومن الجائز أن يكون استخدامه لها بأساليب مختلفة ، وفى مراحل متعددة أثناء عملية التبنى . ومع ذلك ، إذا ذكر الأشخاص الذين هم موضوع الاستفتاء مصادر مختلفة للمعلومات فى كل مرحلة ، فإن هذا لا بد أن يدل على التفريق بين المراحل .

لقد وجد « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ أن جميع الأفراد الذين كانوا موضوعاً لاستفتائهم ذكروا مصادر للمعلومات مختلفة لفكرتين مستحدثتين وكان ذلك فى مرحلتى المحاولة والتبنى . وفى مرحلتى الإدراك والاهتمام ، وكذلك فى مرحلتى التقييم والمحاولة ، وجد أن ثمة تفريق أقل بين مصادر المعلومات . وأقل تفريق ممكن وجد فى مرحلتى التقييم والمحاولة حيث لوحظ أن ٤٣ ٪ فقط من مجموع المتبنين للفكرة المستحدثة الأولى و ٥٣ ٪ من مجموع المتبنين للفكرة المستحدثة الثانية ذكروا فى ردودهم على أسئلة الاستفتاء مصادر للمعلومات مختلفة . وهناك بحوث كثيرة أخرى استعرضناها فى أماكن أخرى من هذا الكتاب وهى تشير أيضاً إلى وجود تفريق بين المصادر التى تأتى منها المعلومات فى مراحل مختلفة من مراحل عملية التبنى .

٤ — الاختلاف فى الزمن :

ثمة سؤال منطقى يمكن إثارته بشأن فكرة المراحل وصدقها فى حالة ما إذا أفاد الأشخاص موضوع الاستفتاء أنهم تبنوا الفكرة المستحدثة بوحى من ذاتيتهم وبطريقة مفاجئة — أى أنهم أدركوا الفكرة المستحدثة

وتبنوها فى الحال . لقد وجد « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ أنه ما من واحد من الأشخاص المائة والثمانية والأربعين الذين أدلوا إليه بردودهم فى الاستفتاء تبنى الفكرة المستحدثة بهذه الطريقة المفاجئة . وبدلاً من ذلك وجد هذان الباحثان أن ٧٣ ٪ من المتبنين للفكرة المستحدثة الأولى و ٦٣ ٪ من المتبنين للفكرة المستحدثة الثانية ذكروا سنوات مختلفة وقعت فيها مرحلتا الإدراك والمحاولة . وبعض الأفـــراد ذكروا تواريخ مختلفة لحدوث مرحلتى المحاولة والتبنى ، وهؤلاء الأفراد بلغت نسبتهم ١٤ ٪ فى مرحلة المحاولة و ٢٥ ٪ فى مرحلة التبنى ، ولكن قد يكون السبب فى ذلك أن الأفكار المستحدثة يمكن فى سهولة أن تجرب وتعتنق فى نفس السنة . ومعظم الأفراد يبدو أنهم يحتاجون إلى فترة زمنية ، وهذه يمكن أن تقاس بالسنوات ، لكى ينتقلوا من مرحلة إلى أخرى من مراحل عملية التبنى . وهذا فى حد ذاته قد يزودنا بالبرهان على أن السلوك الذى يتبعه الناس عند التبنى لفكرة مستحدثة هو شىء معقد وينطوى على عملية عقلية قد تتكون من مراحل .

والخلاصة أننا قد نجد مايؤكد لدينا صدق الفكرة القائلة بحدوث التبنى على مراحل ، ولكن النتائج التى تمخضت عنها البحوث ليست قاطعة من هذه الناحية . والشواهد على كم من المراحل بالضبط تنطوى عليها عملية التبنى ما زالت قليلة إلى حد كبير . وبالرغم من ذلك ، وإلى أن يتيسر لنا من الشواهد عدد أكبر ، يبدو أنه من الواضح من الناحية الذهنية ومن الصحة من الناحية العملية أن نستخدم الخطوات الخمس المتعلقة بعملية التبنى ، وهى الخطوات المذكورة فى هذا الكتاب .

مصادر المعلومات فى كل مرحلة من المراحل :

والعديد من البحوث المتعمقة فى الدراسة نجد أن أصحابها يحاولون جاهدين تحديد الأهمية النسبية لمصادر المعلومات المختلفة فى مراحل متباينة من مراحل عملية التبنى .

وفى هذا القسم من الكتاب سوف نستعرض تعميمين مختلفين متعلقين بمصادر المعلومات المستخدمة فى المراحل الداخلة فى صميم عملية التبنى .

الاتصالات الشخصية ونقيضها من الاتصالات غير الشخصية :

والاتصالات الشخصية تتضمن تبادلاً مباشراً للأفكار بين شخصين هما المقبل على الاتصال والمستقبل لهذا الاتصال . والاصطلاحان « المصادر الشخصية للمعلومات » و « التأثير الشخصى » إنما يستخدمان بشكل تبادلى بعض الشىء وإن كان من المعترف به أن هذين الاصطلاحين لا يتطابقان تطابقاً كاملاً مع المعنى الحرفى لكل منهما . والاتصال هو الطريقة التى ينتشر التأثير تبعاً لها . والاتصالات غير الشخصية لا تتضمن تبادلا مباشراً بين القائم بالاتصال ومتلقى الاتصال . والاتصالات غير الشخصية تنتشر دائماً عن طريق وسيلة من وسائل الاتصال الجمعى . والاتصالات غير الشخصية تعمل بصفة أساسية كسرعة للمعلومات تتصف بالكفاية والسرعة وإن كانت تصدر من جانب واحد . ووسائل الاتصال الجمعى إنما هى على درجة كبيرة من الفاعلية فى توجيه انتباه الأفراد إلى القرارات البديلة واختيار المناسب منها نظراً لانتشارها فى مجالات أوسع إذ بسبب طبيعتها لا يمكن حصرها فى جماعة محددة من الناس من ذوى الخصائص والتخصصات المعنية . وباختصار ، فإن مصادر المعلومات غير الشخصية إنما هى على درجة كبيرة من القدرة على إيجاد الوعى بالفكرة لدى الأشخاص.

وثمة تعميم تسنده دراسات عديدة وهو يقول بأن المصادر غير الشخصية للمعلومات إنما هى على درجة كبيرة من الأهمية فى مرحلة الإدراك للفكرة ، والمصادر الشخصية تكون هامة جداً فى مرحلة التقييم الداخلة فى نطاق عملية التبنى الأفكار المستحدثة . ومما هو مسلم به أن الناس يفضلون تصديق الناس على تصديق الحقائق وذلك فى مرحلة تقييم الأفكار

المستحدثة . أما أسباب الأهمية الفارقة بين المصادر الشخصية والمصادر غير الشخصية الداخلة فى تكوين عملية التبنى للأفكار المستحدثة فقد أشار إليها « ويكلنج » و « روجرز » و « بيل » فى السنوات ١٩٥٢ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ على التوالى . والاتصال الشخصى إنما هو على درجة كبيرة من الأهمية فى مرحلة التقييم حيث يتكون لدى الفرد الحكم العقلى على قيمة الفكرة المستحدثة ، ولذلك أسباب منها :

١ — الاتصال الشخصى يسمح بتبادل للأفكار من ناحيتين. والشخص الواقع عليه الاتصال قد يحظى من صاحب الاتصال بمعلومات إضافية أو بتمحيص لهذه المعلومات التى تدور حول الفكرة المستحدثة .

٢ — الاتصال الشخصى قد يؤثر على السلوك كما أنه ينقل الأفكار . وفى معظم الحالات ، يكون للأفراد الذين يتجاوب كل منهم مع الآخر قيم واتجاهات متشابهة ويجوز للبعض منهم أن يكونوا جماعة إسناد بالنسبة للبعض الآخر .

والاتصالات الجمعية قلما تؤثر على القرارات تأثيراً مباشراً وذلك بالرغم من أن هذه الاتصالات قد تعمل من خلال متغير طارىء خاص بالتفاعل الجماعى وبحيث يترتب على هذه الاتصالات تعديلات فى السلوك .

٣ — ومن أسباب أهمية مصادر المعلومات الشخصية فى مرحلة التقييم للأفكار المستحدثة سهولة هذه المصادر وإمكان تصديق ماتأتى به من معلومات حيث أنه عندما يكون المصدر معروفاً فى نطاق واسع فمن الأمور المتوقعة أن ينظر إليه باعتباره جديراً بالثقة .

٤ — قد يكون للاتصال الشخصى فاعلية أكبر فى مواجهة أية معارضة للفكرة المستحدثة أو كره لها من جانب الشخص الواقع عليه الاتصال . والمصادر غير الشخصية للمعلومات يمكن فى العادة أن تكون أكثر قابلية لأن يتحاشاها الإنسان أو يتجاهلها من المصادر الشخصية . والدراسة

التى قام بها « ليونبرجر » عام ١٩٥٥ على عدد من مزارعى ولاية « ميزورى » تزودنا بمثل حى لهذه النقطة حيث أنها دراسة عملية تقوم على أساس رسم تخطيطى للعلاقات الاجتماعية . لقد وجد هذا الباحث أن المزارعين الذين لايتجاوبون مع الأفكار المستحدثة (وهم الذين عارضوا معظم الأفكار الجديدة فى مجالات الزراعة) كانوا يظهرون استعدادهم للحصول على المعلومات والنصائح الزراعية من مزارعين كانوا بدورهم من أكثر الفلاحين تقبلاً للأفكار المستحدثة واعتناقاً لها . لقد انتهى « ليونبرجر » إلى أن « المصادر الشخصية للمعلومات ، وهى المصادر القائمة على تبادل المؤثرات بين الأفراد ، من شأنها أن تزودنا بمسالك ذات طاقات للاعتراض والمقاومة ضعيفة فى مجال المعلومات الزراعية ، تلك المعلومات التى لاتقبل عندما تصدر عن الأجهزة الرسمية ذات الاختصاص المباشر فى هذا المجال » .

وفيما يختص بأهمية النسبية للاتصالات الشخصية وغير الشخصية فى كل مرحلة من مراحل تبنى المحلول الكيماوى (٢ ، ٤ د) ، وهو المحلول القاتل للحشائش الضارة بالمزروعات ، حصل « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ على المعلومات الأساسية فى هذا الموضوع من ١٤٨ مزارعاً فى ولاية « ايووا » . لقد كانت النسبة المئوية لأشخاص الاستفتاء الذين ذكروا فى إجاباتهم مصدراً شخصياً للمعلومات (مثل الجيران ، والأصدقاء ، والأقارب) تتزايد من ٣٧ ٪ فى مرحلة الإدراك إلى ٥٠ ٪ فى مرحلة الاهتمام وإلى ٦٣ ٪ من مرحلة التقييم . غير أنه وجد أن هذه النسبة تتناقص إلى ٥٠ ٪ فى مرحلة المحاولة والتجريب . والخبرة بالفكرة المستحدثة ، تلك الخبرة المستمدة فى مرحلة المحاولة والتجريب ، قال عنها ٩٠ ٪ من مجموع الأفراد موضوع الاستفتاء أنها أهم مصدر من مصادر المعلومات فى مرحلة التبنى .

والمصادر غير الشخصية للمعلومات (مثل المجلات الزراعية والنشرات) تكون أكثر أهمية من المصادر الشخصية وذلك فقط فى مرحلة الإدراك الخاصة بتبنى محلول ٢ ، ٤ د القاتل للأعشاب الضارة .

وبصفة عامة نجد نماذج مشابهة فى مجال الأهمية التى نعطيها للاتصالات الشخصية والاتصالات غير الشخصية فى عملية التبنى ، وهذه النماذج قد كشفت عنها المعلومات المستقاة من ١٧٥ فلاحاً من ولاية « بنسلفانيا » فى البحث الذى أجراه « كوب » وغيره عام ١٩٥٨ . هذه المعلومات تدل على اتجاه طبيعى أصيل تسير فيه المصادر الشخصية للمعلومات متزايدة من ناحية الأهمية النسبية من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التقييم ، وتقل حينئذ أهمية الاتصالات الشخصية فى مرحلة المحاولة والتجريب .

لقد وجد « سيل » عام ١٩٥٨ أنه فى حالة التوسع فى ترجيح التبنى للفكرة المستحدثة ، فلابد من استخدام مصادر المعلومات فى تتابع زمنى مثالى . وفى دراسة قام بها « كوب » وآخرون عام ١٩٥٨ على ١٧٥ فلاحاً من « بنسلفانيا » ، وجد « أن ثمة تتابعاً زمنياً فى الاتصال الزراعى من ناحية أن رسائل هذا الاتصال تذاع من خلال وسائط معينة هدفها إيجاد الإدراك لدى المسئولين ثم لدى الجماعات ثم لدى الأفراد . والمزارع الذى يعمل على الإخلال بهذا التتابع بأية طريقة من الطرق فإنه يعوق التقدم فى إحدى نقاط عملية التبنى » .

وإن أعظم « الثمرات » التى تتمخض عنها مرحلة الإدراك لتعزى إلى وسائل الاتصال الشعبى ، وتلك التى تتمخض عنها مرحلة المحاولة والتجريب تعزى إلى التأثيرات الصادرة عن الجماعات . أما تلك الدفعات التى تتجه نحو مرحلة التبنى فتعزى إلى خبرات الفرد إزاء المحاولة . أما استخدام الفرد لمصدر من مصادر المعلومات فإنه لا يتناسب ومرحلة تبنى معينة فقد وجد أنه مرتبط بالمراحل المتأخرة من التبنى .

مصادر المعلومات لها صفة الكونية أى الانفتاح على العالم الخارجى :

والتعميم الثانى بشأن مصادر المعلومات فى مرحلة التبنى يحتاج هو الآخر إلى دراسة . والكونية أو الانفتاح على العالم الخارجى ، هو الدرجة التى

يعتبر عندها الفرد ميمماً وجهه خارج التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فيه إلى تنظيم اجتماعى آخر بعيد عنه . والأفراد يقسمون إلى مجموعتين إحداهما كونية والأخرى محلية ، ولا يقف الأمر عند هـذا الحد بل إن مصادر المعلومات هى الأخرى يمكن أن تقسم تبعاً لدرجة انفتاحها على العالم الخارجى . والمعلومات الكونية عن الأفكار المستحدثة هى المعلومات التى تصدر من خارج التنظيم الاجتماعى ، فى حين أن معلومات أخرى عن أفكار جديدة تصل الفرد من مصادر داخل التنظيم الاجتماعى .

ومصادر المعلومات الكونية إنما هى أكثر ما تكون أهمية فى مرحلة الإدراك ، فى حين أن مصادر المعلومات المحلية تصبح كذلك فى مرحلة التقييم . هذا التقييم تدعمه نتائج البحوث التى قام بها « ويكلنتج » وآخرون عام ١٩٦٠ ، كما تدعمه المعلومات المبينة فى (شكل ٤ — ٣) . والمادة العلمية فى هذه البحوث جمعها « بيل » و « روجرز » عام ١٩٥٧ من ١٤٨ زوجة من زوجات المزارعين ، وهذه المادة أعيد تحليلها على أساس صفتها الكونية ، واستخدم الباحثان فى هذا التحليل نظاماً للتصنيف سبق أن اقترحه « كامبل » عام ١٩٥٩ و « ليونهولد » عام ١٩٦٠ . ومن الواجب أن نحذر هنا من أنه قد يكون ثمة علاقة بين هذا البعد ، بعد الكونية والمحلية ، وبين بُعد الذاتية وعدم الذاتية لمصادر المعلومات . والمصادر الذاتية أو الشخصية هى فى العادة محلية أكثر منها كونية . وبالرغم من ذلك فإن تقسيم مصادر المعلومات إلى مصادر « محلية » وأخرى « كونية » إنما هو تقسيم كامل من الناحية النظرية كما هو كذلك من الناحية العملية .

المادة العلمية هنا جاءت من ١٤٨ فلاحة فى إحدى بلدان ولاية « أيوا » ، وهذه المادة تتعلق بمصادر المعلومات التى يرجع إليها الفضل فى تبنى أولئك النسوة لفكرة الأقمشة « المعجزة » ، وهى الأقمشة المصنوعة من العجائن الصناعية . هذه المصادر قسمت إلى :

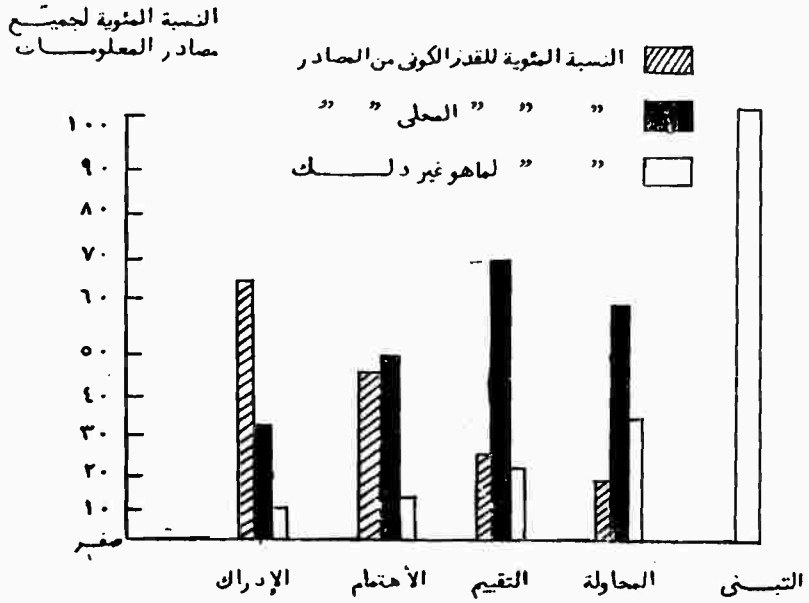

مراحل فى عملية التبنى

شكل (٤ — ٣)

أهمية المصادر التى تأتى منها المعلومات ، تلك المصادر ذات الطبيعة الكونية والمحلية ، فى كل مرحلة من مراحل تبنى ربات البيوت فى ولاية « أيووا » لفكرة الأقمشة الحديثة المصنوعة من الخامات الصناعية (الأقمشة المعجزة) .

١ — مصادر كونية ، أى المصادر الخارجة عن البيئة ، أو

٢ — مصادر محلية وهى المصادر الموجودة فى البيئة .

ومن الشكل السابق يمكن الاستدلال على أن المصادر الكونية تكون على أكبر درجة من الأهمية فى مرحلة الإدراك . أما المصادر المحلية فتلعب أعظم أدوارها فى مرحلة التقييم .

والنتائج التى توصل إليها « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ ، وكذلك « كانز » عام ١٩٦١ ، توحى بأن الاتصالات الكونية أكثر أهمية بالنسبة إلى أولئك الذين يسبقون غيرهم فى تعلم فكرة جديدة . والمعلومات الخاصة

بالأفكار المستحدثة تخرج عادة من مصادر خارجة عن التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فيه أولئك السباقون وبذلك تبدو لهم هذه المعلومات مستساغة. وبمجرد أن تكسب الفكرة أنصاراً من المقيمين داخل التنظيم الاجتماعى، تصبح المصادر المحلية للمعلومات ميسورة بالنسبة للأشخاص الذين يعتبرون متأخرين عن غيرهم نسبياً فى السماع عن الفكرة المستحدثة. والدراسة التى أجريت على الذرة الهجين دلت هى الأخرى على أن المزارعين الذين علموا بالفكرة متأخرين نسبياً عن غيرهم كان احتمال سماعهم بالفكرة من مصادر شخصية ذاتية أكبر.

الفرض القائل بأنه: يبنى الشخص للفكرة لا يتم الا بعد تعرضه لمؤثراتها:

ثمة فرض أساسى سبق أن وضع موضع الاختبار فى عدد كبير من البحوث الدراسية (مثل البحوث التى قام بها «هوفر» عام ١٩٤٢، و «امرى» و «ويزر» عام ١٩٥٨، و «كوهينور» عام ١٩٦٠، و «راهودكار» عام ١٩٦١، و «لاكى» و «لارسون» عام ١٩٦١) ألا وهو أن التبنى لفكرة مستحدثة يختلف اختلافاً مباشراً تبعاً لمدى تعرض الشخص لهذه الفكرة. والنتائج المستمدة من الدراسات السابقة تدل على أن هذه العلاقة بين التعرض والتبنى هى على وجه العموم على درجة كبيرة من الأهمية. ومن الجائز أن يكون الأمر هكذا لأن كل ما يقرره هذا الفرض هو أن الإدراك لابد أن يسبق التبنى فى مجال الأفكار المستحدثة، ومن ثم يمكن القول إن الإضافة الحقيقية التى تضيفها هذه النتائج إلى هذا الفصل إنما هى مزيد من الاعتماد على فكرة المراحل فى عملية التبنى للأفكار المستحدثة والوثوق من صحة هذه الفكرة.

تحذيرات :

هذا القسم المخصص لمصادر المعلومات فى مراحل التبنى ينبغى أن نختتمه بالتحذيرات التالية :

١ — التحليلات الحالية تتجاهل أثر :

(ا) الصفات المميزة للفكرة المستحدثة .

(ب) الفئة التى ينطوى تحتها الأفراد موضوع الاستفتاء من حيث تبنيهم للأفكار المستحدثة وذلك فى مجال التحرى عن المصادر المستخدمة للمعلومات .

لقد اكتشف «ويكلنتج» عام ١٩٥٠ فروقاً كبيرة فى مصادر المعلومات المستخدمة فى كل مرحلة من مراحل التبنى على أساس الأفكار المستحدثة التى كانت موضوعاً للدراسة . وفى الفصل السادس من هذا الكتاب سيجد القارىء بضعة تعميمات حول الفروق الموجودة فى مصادر المعلومات على أساس الفئة التى ينضوى تحتها المتبنى للفكرة المستحدثة .

٢ — فى الدراسات التى ذكرت ، عملت الأسئلة التى قصد بها تحديد مصادر المعلومات على توجيه الإجابات نحو المصادر الخارجية . ألا يمكن اعتبار خبرة الفرد السابقة أو استنباطاته من المعلومات المعروفة لديه مصدراً للمعلومات ؟ والغرض الضمنى لمعظم البحوث السابقة التى أجريت على هذا الموضوع هو أن مصادر المعلومات فى مجال التبنى تكون خارجية بالنسبة للفرد . على أنه ينبغى أن ندرك أن الأمر ليس بالضرورة هكذا .

فترة التبنى :

وفترة التبنى هى الفترة الزمنية التى يحتاجها الإنسان لكى يمر فى عملية التبنى من مرحلة الإدراك إلى التبنى الكامل . والزمن المنقضى من الإدراك للفكرة الجديدة الى التبنى يقاس بالأيام أو الشهور أو الأعوام .

وفترة التبنى هى على هذا الحال فترة حضانة تأخذ فى أثنائها الفكرة الجديدة فى التخمر العقلى .

والعديد من العاملين فى حقل الإعلام وقياس الرأى العام يرغبون رغبة أكيدة فى الإسراع بالعملية التى يتم بمقتضاها تبنى الأفكار المستحدثة. وثمة طريقة لتحقيق ذلك ألا وهى العمل على توصيل المعلومات عن الأفكار الجديدة بشكل أكثر فاعلية ومن ثم يخلق الوعى بها والإدراك لكنهما خلقاً أكيداً .

طريقة أخرى يمكن التنويه عنها هنا وهى تقصير الفترة الزمنية اللازمة للتبنى بمجرد أن يصبح الفرد مدركاً للفكرة الجديدة . وثمة شواهد على أن النقص فى معارفنا عن الأفكار المستحدثة يؤخر تبنينا لها . والذين لا يتبنون الأفكار المستحدثة هم فى العادة مدركين لها ولكنهم لا يجدون الحافز الكافى لوضعها موضع التجريب ثم تبنيها .

لقد أعلن « رايان » و « جروس » عام ١٩٤٣ أن معظم المزارعين فى ولاية « أيوا » سبق لهم أن سمعوا عن بذور الذرة الهجين قبل أن يشرع عدد كأصابع اليد الواحدة فى زراعتها فعلاً .

وشكل (٤ — ١) يوضح متوسط فترة التبنى لعدد من الأفكار المستحدثة . والأفكار المستحدثة ذات السمات المميزة تكون فى العادة أسرع فى التبنى من غيرها من الأفكار التى لا سمات لها . فمثلاً الأفكار المستحدثة ذات الطبيعة البسيطة والسهلة فى مجال التطبيق والمرتبطة بالخبرات السابقة قد يكون لها فترة تبنى أقصر من تلك التى الأفكار المستحدثة الخالية من هذه السمات . والبعد الأساسى من أبعاد التحليل فى هذا الموضوع إنما هو الفوارق الفردية فى طول فترة التبنى ، وليس الفوارق فى فترات التبنى بالنسبة للأفكار المستحدثة بشتى أنواعها .

طول فترة التبنى بالنسبة لعدد من الأفكار المستحدثة

الأفكار الجديدة	متوسط طول فترة التبنى بالسنوات	النسبة المئوية لتبنيها	الأشخاص موضوع الاستفتاء	الدراسة التى أجريت على الفكرة الجديدة
١ ـ بذرة الذرة الهجين	٩ و ٠	٠/.٩٩	٢٥٩ فلاحاً من «أيووا»	جروس عام ١٩٤٢
٢ ـ زراعة الأطراف للحيلولة دون تآكل التربة	٥ و ٠	ـ	١١٠ فلاحاً من «إلينوى»	كولمان عام ١٩٤٦
٣ ـ تحسين المرعى	٨ و ٠	٠/.٩٤	١٠٠ فلاحاً من كارولاينا الشمالية	ويكلننج وسانتوبولو عام ١٩٥٢
٤ ـ زراعة البرسيم الحجازى	٥ و ٠	٠/.٢٦	» » » »	» » » »
٥ ـ عشر أفكار مستحدثة عن إدارة المزارع	٣ و ٧	ـ	٤٩٣ فلاحاً من «فرجنيا»	ديميت عام ١٩٥٤
٦ ـ إضافة المضادات الحيوية إلى طعام الخنازير	١ و ٦	٠/.٧١	١٤٨ فلاحاً من «أيووا»	بيل وروجرز عام ١٩٦٠
٧ ـ إستعمال المحاليل الكيماوية لإبادة الحشائش الضارة	٢ و ١	٠/.٨٧	» » »	» » »
٨ ـ النسيج «المعجزة»	١ و ٦	٠/.٩١	» » »	روجرز عام ١٩٥٥
٩ ـ إستعمال المحاليل الكيماوية لإبادة الحشائش الضارة (محلول ٢ ، ٤ د)	١ و ٣	٠/.٧٨	١٠٤ فلاحاً من «أوهايو»	روجرز عام ١٩٥٧
١٠ ـ إستعمال مادة الورفارين لقتل الفيران	٠ و ٨	٠/.٧٨	» » »	» » »

معدلات الادراك والتبنى :

وفترة التبنى للحلول الكيماوى المبيد للحشائش الضارة قد أوضحها ما هو مبين بشكل (٤ — ٤) حيث جمعت المادة العلمية الموجودة فيه بمعرفة « بيل » و « روجرز » عام ١٩٦٠ . من هذا الشكل يمكن ملاحظة أن الإدراك يقع بمعدل أسرع من معدل التبنى . فمثلاً نرى أن ثمة فترة زمنية معدلها ١,٧ سنة بين ١٠ ٪ من حالات الإدراك و ١٠ ٪ من حالات التبنى ، ولكن ثمة فترة زمنية معدلها ٣,١ سنوات بين ٩٢ ٪ من حالات الإدراك و ٩٢ ٪ من حالات التبنى .

ما السبب فى وجود فارق فى معدل السنوات فى التواريخ الخاصة بمرحلة الإدراك وهى المبينة بالشكل (٤ — ٤) ؟ إن الاتصالات غير الذاتية تكون على أكبر درجة من الأهمية فى مرحلة الإدراك . والطابع « الجماعى » لهذه المصادر يوحى بأن جميع الأفراد فى تنظيم اجتماعى معين ينبغى أن يصبحوا فى وقت واحد مدركين للفكرة الجديدة . وإذا كان الأمر كذلك ، لماذا يوجد إذن مدى زمنى قدره عدة سنوات فى مرات الإدراك الموضحة فى شكل (٤ — ٤) ؟ من الجائز أن نجد الجواب على ذلك فى العمليات النفسية الاجتماعية المصاحبة لعملية الانتخاب . و « الاتجاه الانتخابى » هو ميل الأفراد إلى أن يعرضوا أنفسهم للدخول فى اتصالات تتفق وآراءهم الراهنة . وبالرغم من أن المثير قد يقدم لعدد من الناس ، فإن أفراداً معينين فقط هم الذين يستقبلونه ويتأثرون به ، وإن استقبالهم له أو عدم استقبالهم ليتوقف عادة على عوامل معينة مثل خبراتهم السابقة وقيمهم الاجتماعية وحالتهم العقلية ومقدار ما لديهم من معرفة . والطريقة التى يدرك بها الفرد فكرة جديدة وهل هو يحتفظ بها فى ذاكرته أم لا ، كل ذلك يتوقف على آرائه واتجاهاته . هكذا يحدث أن يسوق المزارع

سيارته بحذاء حقل يمتد مائة ميل مزروع بالذرة الهجين وبالرغم من ذلك فإنه قد لا « يرى » أو يدرك الذرة الهجين . وقد يكون « هازنجر » على صواب فى ادعائه بأن مرحلة الإدراك ينظر إليها من قبل الباحثين بطريقة سلبية . والخلاصة ، من الجائز أن تكون عمليات الانتخاب هى السبب فى أن جميع الأفراد فى التنظيم الاجتماعى الواحد لا يصبحون مدركين للفكرة الجديدة فى وقت واحد .

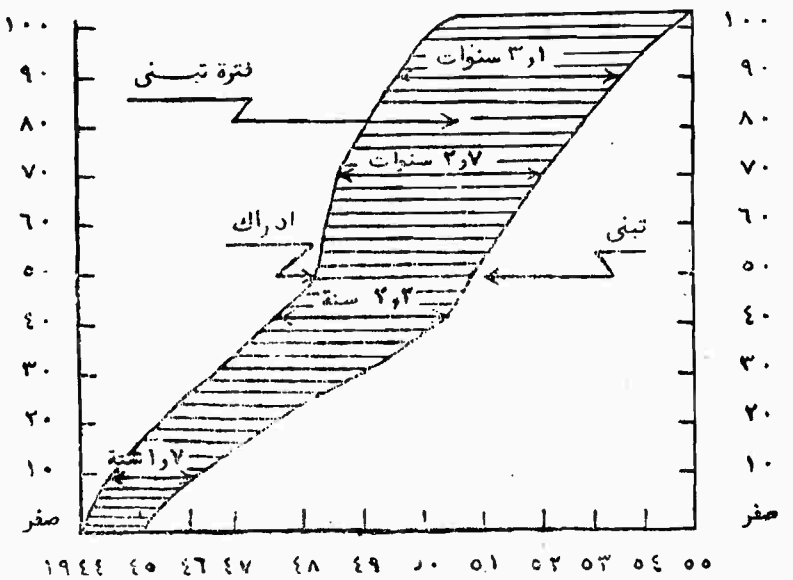

شكل (٤ــ ٤) فترة التبنى عند عدد من الفلاحين فى ولاية «أيووا» تبنوا فكرة استعمال المحلول الكيمائى المبيد للحشائش الضارة (٢ ، ٤ د)
والوحدة الزمنية هنا هى العام

المنطقة المظللة فى هذا الشكل توضح فترة التبنى الواقعة بين مرحلتى الإدراك والتبنى لفكرة المحلول الكيمائى المبيد للحشائش الضارة. والإدراك يسير فى معدل أسرع من ذلك الذى يسير به التبنى وهذا يوحى بأن أواخر المتبنين لديهم فى المتوسط فترة تبنى أطول من الفترة التى المتبنين الأوائل .

طول فترة التبنى لدى الفئات المختلفة من المتبنين للأفكار المستحدثة

فئات المتبنين للأفكار المستحدثة	طول فترة التبنى مقدرة بالسنوات			
	بالنسبة لاستعمال المبيد الكيماوى للحشائش الضارة (٢، ٤ د) فى «أيووا»	بالنسبة للمضادات الحيوية فى «أيووا»	بالنسبة لاستعمال المبيد الكيماوى للحشائش الضارة (٢، ٤ د) فى «أيووا»	بالنسبة إلى استعمال الأقمشة «المعجزة» المصنوعة من العجائن فى «أيووا»
المبتدعون للأفكار	,٤٠	١,٥٠	٠,٢٠	صفر
المتبنون الأوائل	,٥٥	٠,٥٥		٠,٦١
الغالبية المتقدمة	١,١٤	٠,٧٩	١,٢٠	١,٧٠
الغالبية المتأخرة	٢,٣٤	١,٥٢	٢,١٤	١,٤٩
المتلكئون	٤,٦٥	٤,١٢	٥,٠٩	٢,٧١

جدول رقم (٤ — ٢)

فمثلاً يوجد ١,٧ سنة بين ١٠٪ من الإدراك ، و١٠٪ من التبنى ، ولكن هناك ٣,١ سنوات بين ٩٢٪ من الإدراك ، و٩٢٪ من التبنى .

طول فترة التبنى لدى الفئات المختلفة من المتبنين للأفكار المستحدثة :

يحتاج السابقون فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة إلى فترة للتبنى أقصر من الفترة التى يحتاجها اللاحقون . والجدول رقم (٤ — ٢) يبين أن فترة التبنى هى فى جميع الحالات أطول باعتبار السنوات لكل فئة من فئات المتبنين ابتداء من المبتدعين للأفكار حتى أواخر المتبنين لها ، وهذا يوحى بأن أولئك الذين يبادرون قبل غيرهم إلى تبنى الأفكار يفعلون ذلك ليس فقط لأنهم يدركون الفكرة أسرع من جيرانهم ولكن لأنهم أيضاً يحتاجون إلى عدد أقل من السنوات لكى ينتقلوا من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التبنى . والمبتكرون للأفكار المستحدثة من الجائز أنهم يكسبون جزءاً من وقتهم بصفتهم مبتكرين عن طريق خبرتهم بالأفكار المستحدثة ومعرفتهم لها فى وقت مبكر ، ولكن المادة الموجودة فى هذا الجدول توحى أيضاً بأن المبتكرين للأفكار المستحدثة هم أول من يتبنى هذه الأفكار لأنهم يحتاجون إلى فترة للتبنى أقصر نسبياً .

لماذا يحتاج المبتكرون للأفكار المستحدثة إلى فترة تبنٍ أقصر ؟ تدل الدراسات العلمية على أن هذه الفئة لها فى العادة اتجاهات نفسية موائمة نحو الأفكار الجديدة ولا يحتاج الأمر إلى قدر كبير من المقاومة للتغيير . والمبتكرون للأفكار الجديدة قد يمرون بفترات تبنى أقصر لأنهم يستخدمون مصادر للمعلومات أكثر دقة من الناحية الفنية مثل الاتصال المباشر بالأفراد العلميين ، ولأنهم يضعون ثقة أكبر فى هذه المصادر تفوق الثقة التى يضعونها فى الفرد العادى . والمبتكرون للأفكار المستحدثة من الجائز أن لهم أيضاً نوعاً من القدرة العقلية تمكنهم من تفهم الموضوعات

المعنوية . والمبتكر للأفكار المستحدثة يجب أن يكون قادراً على التصور الذهنى للمعلومات المحسوسة التى تدور حول الأفكار الجديدة وتطبيق هذه المعلومات الجديدة على موقفه الخاص . والمتبنون الأواخر للأفكار المستحدثة يستطيعون أن يلاحظوا نتائج هذه الأفكار على المتبنين الأوائل وقد لايحتاجون إلى هذه القدرة العقلية ، القدرة على التصور الذهنى .

طول الفترة المنقضية مابين مرحلة الادراك ومرحلة المحاولة والتجريب والفترة بين هذه الاخيرة والتبنى :

وفترة التبنى هى الفترة التى يحتاج إليها الفرد لكى يمر فى عملية التبنى متنقلاً من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التبنى . والباحثون فى هذا الميدان نجحوا فى عزل فترتين زمنيتين متميزتين تكونان جماع فترة التبنى وهما :

١ — فترة الانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب وهى الفترة المطلوبة للفرد لكى يمر من مرحلة إدراك الفكرة المستحدثة إلى مرحلة تجريبها .

٢ — فترة الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى وهى الفترة المطلوبة للفرد لكى يمر من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى للفكرة المستحدثة .

والشواهد المستمدة من عديد الدراسات تسند الرأى القائل بأنه بالنسبة لمعظم الآراء المستحدثة تكون فترة الانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب أطول من فترة الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى . فمثلاً نجد أن :

١ — ٥,٥ من السنوات كانت لازمة للانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب فى مجال استخدام بذور الذرة الهجين و ٣,٣ من السنوات للانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى .

٢ — ١,٥٨ سنة كانت لازمة للانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب فى مجال استخدام المادة الكيماوية ٢ ، ٤ د لإبادة الحشائش الضارة . أما فترة الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى فكانت ٠,٤٨ من السنة .

٣ — ١,٤٣ سنة كانت لازمة للانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب فى مجال إضافة المضادات الحيوية على علف الخنازير فى حين أن المدة المطلوبة للانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى لنفس الفكرة كانت ٠,١٨ من السنة .

٤ — وجد « ديميت » أن ثمة فترة للتبنى متوسطها ٣,٧ سنوات لعدد من الأفكار المستحدثة فى مجال الزراعة وإدارة المزارع بلغ عددها إحدى عشرة فكرة . أما طول فترة الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى فإنها تراوحت مابين ١,٣٥ سنة و٢,٠٦ سنة لنفس العدد من الأفكار المستحدثة . لقد انتهى « ديميت » إلى وجود فترة زمنية بين مرحلتى الإدراك والتجريب أطول من الفترة التى تقع بين مرحلتى التجريب والتبنى وذلك بالنسبة لأية فكرة مستحدثة .

وشواهد البحث توحى بأن مرحلة التبنى من شأنها أن تتبع مباشرة مرحلة التجريب . على هذا الحال ، يمكن القول إن الجهود التى تبذل لتشجيع الأفكار المستحدثة قد تعمل على الإسراع بعملية التبنى . لقد درس « كلونجلان » وآخرون عام ١٩٦٠ أثر تجربة حرة لمحلول كيمائى جديد لمكافحة الأعشاب الضارة كان قد عرض على عدد من المزارعين فى ولايات الغرب الأوسط من قبل إحدى شركات الكيماويات الزراعية . لقد قدر هذان الباحثان أن التجربة الحرة عجلت بعملية التبنى فيما يختص باستخدام المحلول الكيماوى المبيد للحشائش الضارة بما يقدر بعام .

الفترات التى تمر بين مرحلتى الادراك والتجريب وبين هذه ومرحلة التبنى لدى المتبنين للأطفال المستحرثة بشتى فئاتهم :

سبق القول إن المتبنين الأوائل يقضون فى مرحلة التبنى فترة زمنية أقصر من تلك التى يقضيها المتبنون الأواخر . وإذا ما حاولنا أن نقسم فترة التبنى إلى فترتين زمنيتين صغيرتين ، وهما الفترة التى يقضيها المتبنى فى انتقاله من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب ، وفى انتقاله من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى ، فإن ذلك من شأنه أن يزودنا ببصيرة أكبر فى مجال تفهم هذا القول الذى أسلفناه .

والآن نورد قولين عامين آخرين أكثر تفصيلاً هذه المرة :

١ — الفترة التى تمر من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب أقصر لدى المتبنين الأوائل منها لدى الأواخر . وهذا القول يتفق وما سبق أن قيل عن طول فترة التبنى لدى المتبنين بشتى فئاتهم . ويوضح شكل رقم (٤ — ٥)

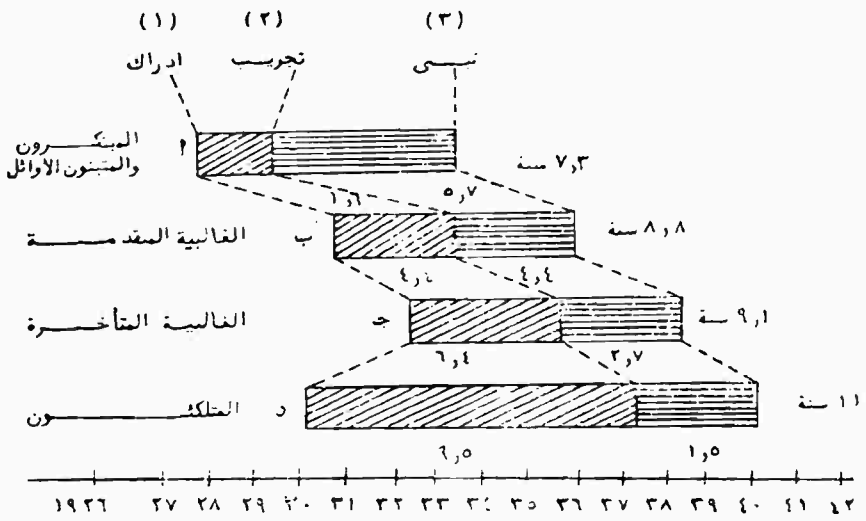

شكل رقم (٤ — ٥)

طول فترة الانتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب وفترة الانتقال من هذه إلى مرحلة التبنى فى مجال استخدام بذرة القرة الهجين بالنسبة لفئات المتبنين المختلفة .

أن المبتدعين والمتبنين الأول لفكرة استخدام بذور الذرة الهجين احتاجوا إلى فترة زمنية مقدارها ١,٦ سنة لكى ينتقلوا من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب فى حين أن أواخر المتبنين احتاجوا إلى ٩,٥ من السنوات. والواقع أن الفرد العادى من فئة المتأخرين فى تبنى هذه الفكرة لم يتنبه إلى وجود البذرة الهجين إلا بعد أن انتهى المبتكر العادى والمتبنى المبكر العادى من تجريب الفكرة الجديدة .

٢ — الفترة التى تنقضى مابين مرحلتى التجريب والتبنى تكون أطول لدى المتبنين الأوائل منها لدى الأواخر . وللوهلة الأولى ، يبدو هذا القول متعارضاً مع واقع هؤلاء فيما يختص بفترة التبنى الكامل والفترة التى تقع بين الإدراك والتجريب إذ أنه بالقياس إلى ماهو حادث بالنسبة إلى المتبنين الأواخر ، يحتاج المتبنون الأوائل إلى سنوات أكثر لكى ينتقلوا من التجريب الى التبنى . ومع ذلك ، لايوجد تعارض حقيقى بين هذين القولين .

وطالما أن المتبنين الأوائل يتعرضون عادة لمجازفة أكبر نسبياً فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة ، خلال الفترة التى يتبنونها فيها ، نجدهم يبدأون محاولتهم بزرع نسبة مئوية ضئيلة من مجموع أراضيهم بالذرة الهجين . والمبتكرون للأفكار والمتبنون الأول لها يجدون أنفسهم عادة بلا سوابق يسترشدون بها ، بل إنهم يوجدون السوابق لمن يأتى بعدهم من المتبنين لهذه الأفكار . وبسبب ضخامة هذه المغامرة الذاتية بالنسبة لهاتين الفئتين ، فإنهما يحتاجان عادة إلى فترة انتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى أطول من الفترة التى يحتاجها أفراد الفئات الأخرى . والمتبنون الأول يحتاجون عادة إلى عدد أكبر من السنوات لكى ينتقلوا من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى الكامل لفكرة استخدام البذرة الهجين . والشكل (رقم ٤ — ٥) يبين أن المبتكرين للأفكار المستحدثة والمتبنين الأول يقضون فترة فى

الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى (٥,٧ سنوات) وهذه الفترة أطول من تلك التى يقضيها المتأخرون (١,٥ سنة) .

وطالما أن الفترة التى تنقضى مابين الإدراك والتجريب أطول من تلك التى تنقضى بين التجريب والتبنى ، فإن فترة التبنى الكامل تكون فى العادة أقصر نسبياً عند المتبنين الأوائل (٧,٣ سنوات كما هو ظاهر فى شكل ٤-٥) منه عند أى فئة أخرى من فئات المتبنين للأفكار المستحدثة . ومنهم المتأخرون (١,٥ سنة) .

وثمة شواهد أخرى على هذا الذى ذكرناه هنا عن البذرة الهجين أدلى بها « رايان » عام ١٩٤٨ فى بحثه عن ذيوع فكرة الذرة الهجين فى ولاية « أيووا » إذ قال : « وكما ينبغى أن نتوقع ، نرى أن المزارعين الذين تلكأوا فى تبنى هذه الفكرة أقبلوا عليها بكل قوة بحيث انتهى بهم الأمر بعد فترة قصيرة إلى زراعة كل أرضهم بهذه الطريقة . ومع ذلك ، ظهر أن التاريخ الذى تحقق فيه التبنى الكامل لهذه الفكرة أسبق فى الترتيب من التاريخ المماثل لدى فئة المتبنين الأوائل للفكرة » .

ومن الواجب أن نأخذ فى الاعتبار هنا أن حديثنا عن الفترة اللازمة للانتقال من مرحلة الإدراك إلى التجريب والانتقال من هذه الأخيرة إلى التبنى ، مؤسس تأسيساً كاملاً على فكرة مستحدثة واحدة ، ألا وهى فكرة الذرة الهجين ، وهذا قد لا يصدق بالنسبة للأفكار المستحدثة الأخرى .

تبنى الأفكار المستحدثة على أقساط :

والمتبنون الأوائل ليس فقط يحتاجون إلى فترة انتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى أطول من الفترة التى يحتاجها المتبنون الأواخر ، ولكنهم يجربون أيضاً الأفكار المستحدثة بشكل اجتهادى . والأطباء المهارون الذين

استخدموا عقار « الجامانين » قبل غيرهم كانوا يستخدمونه فى مرحلة التجريب بكميات قليلة جداً . هذه المعلومات ، وكذلك تلك المستمدة من دراستين أخريين أجريتا على بذور الذرة الهجين ، تظهر فى الجدول (٤-٣). والقاعدة التى نستخلصها من هذه المعلومات هى أن المتبنين الأوائل يجربون عادة الأفكار المستحدثة على نطاق أضيق مما يفعل المتبنون الأواخر . والمبتكرون للأفكار المستحدثة ، بمقارنتهم بالمتلكئين ، ينتقلون من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى على أقساط متزايدة وهم يجربون الفكرة المستحدثة بدفعة كبيرة فى البداية .

والدراسة التى قام بها « هيبر » على تبنى فكرة المعامل اللغوية من قبل المدارس الثانوية فى الولايات المتحدة ، من شأنها أن تدعم هذه القاعدة العامة التى نحن بصددها . لقد اختتم « هيبر » بحثه بالآتى : « يبدو تماماً أن أولئك الذين يعرفون كيف يستخدمون الفكرة المستحدثة يعرفون أيضاً أن الأمر يحتاج إلى فحص شامل . أما أولئك الذين لم يسبق لهم أن استخدموا هذه الفكرة المستحدثة فإنهم يقبلون عليها فى اندفاع كبير وبخاصة فى الأجزاء التى تحتاج إلى روية وإعمال فكر » .

وبالرغم من الفحوص العديدة التى يجريها رجال الصناعة على المنتجات الجديدة ويذيعونها على الناس ، يتردد الناس فى تبنى الفكرة المستحدثة ويظلون بعيدين عنها إلى أن يجربوها بأنفسهم ويخرجون من التجربة راضين عنها . وفى الدراسة التى أجريت على استعمال الذرة الهجين فى ولاية « أيووا » ما من مزارع واحد ذكر عنه أنه زرع كل أرضه بالذرة الهجين فى سنته الأولى . وحتى الخبرات التى يحصل عليها المتبنون الأوائل للأفكار المستحدثة لا تكفى لإقناع المبتكرين الأواخر الذين لا ينفكون يظهرون قدراً من التردد فى أثناء محاولاتهم لتجريب الأفكار الجديدة .

ونحن مازلنا فى حاجة إلى دراسات أخرى نجريها على فترة التبنى .

جدول رقم (٤ — ٣)

المتبنون الأوائل يجربون الأفكار المستحدثة على نطاق أضيق من النطاق الذى يجرب فيه المتبنون الأواخر

سنة تجريب الذرة الهجين من قبل ٢٧٥ فلاحاً من ولاية « أيـــووا »	النسبة المئوية للأرض المنزرعة بالذرة الهجين فى السنة الأولى .	سنة تجريب الذرة الهجين من قبل ٤٣٣ فلاحاً من ولاية « أيـــووا »	النسبة المئوية للأرض المنزرعة بالذرة الهجين فى السنة الأولى	تاريخ تجريب عقار الجامايين من قبل ١٢٥ طبيباً .	عدد التذاكر الطبية خلال ثلاثة أيام
قبل سنة ١٩٣٦	١٣ ٪	قبل سنة ١٩٣٥	١٩ ٪	الشهران الأولان عقب ظهور العقار	١ر٥
١٩٣٦ — ١٩٣٧	١٩ ٪	١٩٣٥ — ١٩٣٦	٢٧ ٪	الشهران الثالث والرابع	٢ر٠
١٩٣٨	٢٥ ٪	١٩٣٧	٢٨ ٪	الشهران الخامس والسادس .	٢ر٧
بعد سنة ١٩٣٨	٤٢ ٪	بعد سنة ١٩٣٧	٤٤ ٪	الشهران السابع والثامن .	٢ر٦

والهدف البعيد لهذه الدراسات قد يكون الحصول على توجيهات يهتدى بها دعاة التغيير الاجتماعى لعلهم ينجحون فى تقصير الفترة التى تقضى فى عملية تبنى الأفكار المستحدثة ومن ثم تلك التى تقضى فى عملية ذيوعها بين الناس.

فترة التبنى فى عملية ذيوع الأفكار المستحدثة :

وفى حين أن عملية التبنى هى العملية العقلية التى يمر فيها الفرد فى انتقاله من مرحلة السماع عن الفكرة إلى مرحلة تبنيها ، نجد أن عملية الذيوع هى انتشار فكرة جديدة من المصدر الذى أطلقها أو أوجدها حتى وصولها إلى المتبنين أو المستخدمين لها .

وطول الفترة التى تتميز بها عملية التبنى يحسب عادة من الوقت الذى يصبح فيه الفرد مدركاً للفكرة المستحدثة إلى الوقت الذى يتم فيه التبنى الكامل لها وذلك فى نطاق تنظيم اجتماعى معين . وفترة الذيوع اللازمة لجماعة من الناس لكى يحققوا حالة التبنى الكامل لفكرة من الأفكار هى ، على الأقل جزئياً ، مظهر أساسى من مظاهر طول فترة التبنى بالنسبة للأفراد الذين يأخذون بالأفكار المستحدثة . هذا الأمر قد لا يكون مظهراً وظيفياً يسير فى خط واحد . وإن الفكرة المستحدثة التى لها فترة تبنى قصيرة نسبياً (فى المتوسط) من الجائز أن يكون لها فترة ذيوع قصيرة نسبياً . وكلما زادت فترة التبنى طولاً (فى حالة أفكار مستحدثة أخرى) ، من الجائز أن تصبح فترة الذيوع أطول بنفس النسبة .

المبتدعون للأفكار المستحدثة والمتبنون الأوائل لها يقضون فترة انتقال من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التجريب أقصر (١,٦ سنة) من الفترة التى يقضيها المتلكئون (٩,٥ سنة) . هؤلاء المتبنون الأوائل أصبحوا مدركين للفكرة المستحدثة قبل المتبنين الأواخر بعدد من السنوات ، ولكنهم انتقلوا بسرعة أكبر إلى مرحلة التجريب (فى هذا

المثال وهو السبق فى مجال استخدام بذور الذرة الهجين فى الزراعة) بعد أن تمت مرحلة الإدراك .

والمبتكرون والمتبنون الأوائل لديهم فى المتوسط فترة انتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى أطول (٥,٧ سنة) من الفترة التى يقضيها المتلكئون (١,٥ سنة). هؤلاء المتبنون الأوائل يتعرضون عادة لمغامرة أكبر عندما يتبنون الفكرة الجديدة وهى فكرة استخدام بذور الذرة الهجين وعلى ذلك نراهم يزرعون نسبة أقل من أرضهم بهذه البذور . إنهم فى حاجة إلى عدد من السنوات أكبر لكى ينتقلوا من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى الكامل للفكرة.

الخلاصـــة

عملية التبنى هى العملية العقلية التى يمر فيها الفرد من وقت أن يسمع عن فكرة جديدة حتى التبنى النهائى لها . هذه العملية التى يتم بمقتضاها تبنى الأفكار المستحدثة إنما هى شبيهة بالطريقة التى يحدث بها التعلم .

وعملية التبنى تتمثل عادة فى مراحل خمس هى : الإدراك ، الاهتمام ، التقييم ، المحاولة والتجريب ، وأخيراً التبنى . وفى مرحلة الإدراك يتعرض الفرد للفكرة المستحدثة ولكن تنقصه الدراية والمعلومات الكاملة عنها . وبعدهذا التعرض ، يصبح الفرد على درجة من الاهتمام بالفكرة المستحدثة بحيث يبدأ فى البحث عن معلومات عنها ترضى رغبته فيها وهذه هى مرحلة الاهتمام . وفى مرحلة التقييم يقوم الفرد بالتطبيق العقلى على موقفه الحاضر والمستقبل ومن ثم يقرر ما إذا كان ينوى تجربة الفكرة أم لا . والفرد يستخدم الفكرة المستحدثة على نطاق ضيق حتى يستطيع أن يقرر مدى فائدتها بالنسبة لموقفه فى مرحلة التجريب . وفى مرحلة التبنى يقرر الفرد الاستمرار فى الاستخدام الكامل للفكرة المستحدثة . والشواهد المستقاة من الدراسات والبحوث المختلفة تدل على أن فكرة الخطوات الخاصة بالتبنى قد تكون فى حد ذاتها سليمة .

والفكرة المستحدثة قد ترفض فى أية مرحلة خلال عمليـــة التبنى . والتوقف عن استخدام الفكرة المستحدثة هو قرار الامتناع عن الاستعانة بالفكرة بعد أن يكون الفرد قد بدأ فى تطبيقها فعلاً . والمتبنون الأواخر معرضون فى أغلب الأحايين للتوقف عن استخدام الأفكار المستحدثة وهم فى ذلك يفوقون المتبنين الأوائل .

والاتصال الشخصى يتضمن التبادل المباشر الذى يتم بين شخصين هما المؤثر (الموجب) والمتأثر (السالب) . ومصادر المعلومات غير الذاتية تكون على أكبر درجة من الأهمية فى مرحلة الإدراك فى حين أن المصادر الذاتية تكون هامة فى مرحلة التقييم أثناء عملية التبنى . ومصادر المعلومات الكونية — أى المنفتحة على العالم الخارجى — تبلغ ذروة الأهمية فى مرحلة الإدراك فى حين تصبح مصادر المعلومات المحلية أكثر ما تكون أهمية فى مرحلة التقييم .

وفترة التبنى هى الفترة اللازمة للشخص لكى يمر فى عملية التبنى منتقلاً من مرحلة الإدراك إلى مرحلة التبنى . والإدراك يقع بمعدل أسرع من معدل التبنى فى تنظيم اجتماعى . وثمة شواهد قليلة تثبت بأن النقص فى المعلومات المتعلقة بالأفكار المستحدثة من شأنها أن تؤخر تبنى الناس لها .

والأشخاص الأول فى مجال تبنى الأفكار المستحدثة يحتاجون عادة إلى فترة تبنى أقصر من تلك التى يحتاجها المتبنون الأواخر . والجزء من فترة التبنى الواقع بين مرحلتى الإدراك والتجريب يكون أطول من الجزء الواقع بين التجريب والتبنى . والفترة الواقعة بين الإدراك والتجريب أقصر بالنسبة إلى المتبنين الأوائل من تلك المتعلقة بالمتبنين الأواخر . على أن فترة الانتقال من مرحلة التجريب إلى مرحلة التبنى تكون عادة أطول بالنسبة إلى المتبنين الأوائل منها بالنسبة للأواخر . والمتبنون الأوائل يجربون الأفكار المستحدثة على نطاق أضيق من النطاق الذى يجرب على أساسه المتبنون الأواخر .